وزارة التعليم العـــــالي والبحـــــث العلـــــمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التـــاريخ

موضـــوع:

رحلتي محمد بن عثمان السنوسي وأبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي إلى الحجاز خلال القرن 19م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
دنيا حمـــايدي
فاطمـــة ميزات

إشراف الأستاذ:
محمد بن سعيدان

لجنـــــة المناقشة

الأستـــاذ .....محمد بن سعيدان..... مشرفا ومقررا
الأستـــاذ .....معمر جعـــيرن..... رئيســـــا
الأستـــاذ .....محمـــد علاق..... مناقشـــــا

السنة الجامعية: 2016-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

ما أجملها من لحظة وأروعها حين أقف أمام أساتذتي الكرام وزملائي يوم تخرجي

أهدي عملي المتواضع الى اللذان نزلت في حقهم الآية: (وقل ربى أرحمهما كما ربيانى صغيرا) إلى أغلى ما في الوجود ونبع الحنان ومصدر كل التضحيات إلى التي أعطت الكثير لتراني أقف على درب النجاح إلى الغالية ***أمـــــي***

إلى الصدر الحنون الذى أحاطني برعايته وعطفه فلم يبخل بجهد ولا بمال إلى صاحب القلب الرقيق ***أبـــــــي*** الغالي حفظه الله.

كما أهديها لكل أفراد عائلتي: (جديد، محمد، أحمد، عبد الرزاق)

إلى الأخوات:(يمينة، خديجة، زهرة، حدة، جميلة، نجية)

الى القناديل الصغير:(حياة، بشرة، أفراح سلمى، عبد النور، صلاح الدين، إبراهيم الخليل)

إلى جميع أعمامي وزوجتهما خاصتا خالي وزوجته وكافة أبنائهم.

إلى جميع أزواج أخواتي وإلى روح جدتي الطاهرة

إلى اللاتي أحمل وشمهن على القلب إلى صديقاتي اللاتي عشنا على الاخلاص في الحب إلى اللاتي رماني حبهن على أرض الدهشة فوددت لوهديها كنوزا من الكلمات لم تهدي لامرأة قبلهن ولا بعدهن إلى صديقاتي الغاليات (أمي الصغيرة سعدية إلى أغلى ما في والوجود حبيبتي التي عاشت معي الأفراح والأحزان فاطمة إلى صاحبة القلب الحنون هاجر إلى حبيباتي نصيرة، خالدية، لحاجة، شريفة، خديجة، عمارية، جميلة، مسعودة، حياة، خولة، أمال، خضرة، لندة، فضيلة، بشرى، فتيحة).

إلى كل من يعرفني من بعيد أو قريب الى كل من ساندني بكلمة أو إبتسامة.

دنيـــا

إهـــداء

بلسان قائل وقلم سائل وقلب صادق أنحني إلى من أكرمني بنعمة العقل

ووهبني طرق الهداية وأفاض علي سبيل الخير والرحمة ***الله جلا وعلا*** "

إلى سبيل العطف والحنان إلى من سهرت من أجل راحتي، وتألمت لآلامي إلى من أرتاح

لها بعد العناء أمي الغالية "***أم الخيـــــــــر***"

إلى من أنار دربي وعلمني أن الإرادة تصنع المعجزات إلى الذي ساعدني

بالنفس والنفيس على تجاوز عثرتي في هذه الحياة حتى رسم الزمن تجاعيد التعب على

جبينه

في سبيل توفير سعادتي ونجاحي أبي العزيز حفظه الله لي "***عبد القـــــــادر***"

إلى من كان حريصا على المضي قدما في دربي عمي الغالي "***محمـــــــــد***"

إلى أختي التي أنجبتها لي الدنيا صديقتي وحبيبتي "***دنيـــــــا*** "

إلى الأستاذ الفاضل "***بن سعيـــدان محمـــــد***"

وإلى كل الأهل والأقارب وإلى كل صديقاتي في الإقامة

إلى جميع زملاء وزميلاتي في الفوج (*01*)

إلى من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي

إلى كل من ساعدني على إنجاز هذه المذكرة ولو بكلمة طيبة أو **إبتسامة جميلة**

✍ لهم مني جميعا كل معاني التقدير والاحترام.

فاطمة

كلمة شكر

نشكـــــر

المولى عز و جل لقوله تعالى:﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

الذي أعانني على شق طريق النجاح.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل: "بن سعيدان محمد"

الذي كان بمثابة المرشد والمساعد لنا في هذا البحث المتواضع.

كما نتقدم بالشكر الجزيل الى كافة أسرة قسم التاريخ من أساتذة ومسيرين ومؤطرين

الذين كانوا سندنا القوي في عملنا هذ.

وكافة مكتبات الولاية.

شكرا لأبونا وقائد أمتنا "عبد العزيز بوتفليقة"

الذي نتمنى له الشفاء و دوام العافية.

إلى كل من علمنا حرفا من المرحلة الإبتدائية وحتى الجامعية.

إلى كل من مد لنا يد العون إلى من ساعدنا ولو بكلمة طيبة.

شكـــــــــــــــــرا.

دنيـا فاطمـة

قائمة المختصرات

قائمـة المختصــرات

أ/ باللغة العربية:

تر	ترجمـــــــة
تح	تحقيـــــق
تق	تقديـــــم
تع	تعريـــــب
ج	جـــــزء
ط	طبعـــــة
مج	مجلـــــد
ص	صفحـــــة
ص ص	صفحـــــات متتاليـــــة
م	ميـــــلادي
ه	هجـــــري
ع	عـــــدد
(د. م)	دون مكـــــان
(د.ت)	دون تاريـــــخ
(د.م. ن)	دون مكـــــان نشـــــر

ب/ باللغة الفرنسية:

Page Contune	PP

مقدمة

خلق الأنسان محبا للحركة والتنقل وأمده الله تعالى بالعقل الذي يـــدعوه إلـــى ذلـــك والجسم القوي الذي يعينه على الإنتقال من موضع إلى آخر بحثنا في البداية عن طعامـــه وشرابه هربا من القوى المعادية، وقد بدت له عاقبة مخفية، فالحركة روح الحيـــاة وهـــي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان.

والرحلة سلوك ملازم للإنسان منذ أن وجد رغم تباين الدوافع وتعدد الحاجات التـــي يمكن إرجاعها إلى الرغبة في إكتشاف المجهول والتعامل معه بما يتيسر من وسائل، مـــع التطلع المستمر إلى إمتلاك القدرة على التواصل والإنتفاع وهذا ما أثـــار تأججـــا داخليـــا يؤدي إلى الحركة والإنتقال قصد إشباع حاجات النفس والعقل والروح والبدن، والحق أن الإنسان منذ أن ولد وحتى يموت في رحلات دائبة تعدد أشكالها بمـــرور الأيـــام وبتغيـــر الظروف و الأحوال بل أن لحظات ميلاده و وفاته تعد رحلة، فالرحلة ظاهرة إجتماعية عبر عصور التاريخ الطويلة للبشر فهي تمثل جانب مهما من جوانب صياغة الحضـــارة الإنسانية ونقل الأفكار والمعارف والخيرات والتأثيرات اللغوية وغيرها.

ونظر لما ينقله الرحالة من صور روحية وحقيقية عن مختلف البلدان التي زارها من عادات وتقاليد وأساليب العيش فقد صار أدب الرحلة مصدرا أساسيا من مصادر التـــاريخ وتعتبر منطقة الحجاز من أهم المناطق في العالم الإسلامي لدى المسلمين حيث أن بـــلاد الحجاز تركت أثرا كبيرا عظيما في نفوس المسلمين، إذ احتوت أرضه الطاهرة على مكة المكرمة مهبط الوحي وقبلة المسلمين، فالحجاز كان ولا يزال مركزا لتجمـــع المســـلمين ويعد من مركزا لنشر الثقافة الإسلامية بين الأقطار، كما شهدت منطقة المغرب العربـــي خلال الفترة الحديثة نشاط مكثف للرحلات نحو منطقة الحجاز وشـــكلت أدوات وقنـــوات لإنتقال حمولة معرفية وفكرية متنوعة بين المشرق العربي الإسلامي.

أسباب اختيار الموضوع:

- ✓ متعة البحث في الرحلات المغاربية.
- ✓ الرغبة في الدراسة وإبراز الدور الإيجابي للرحالة المغاربة إلى الحجـــاز إبـــان الفترة الحديثة واهمية إنتقال المعارف بين بلدان المشرق والمغرب.
- ✓ مكانة منطقة الحجاز الدينية فهي تحتل مكانة سامية في قلوب المسلمين وكل من يزورها يستطيع أن يكتب عنها.
- ✓ تدوين الرحالين رحلاتهم بأساليب مشوقة.
- ✓ الاطار الزماني و المكاني: بحيث حددنا الإطار الزماني لموضوعنا في الفتـــرة الحديثة خلال القرن التاسع عشر وهذا يرجع إلى أن تونس قد إستفادت من مجموعة مـــن الدراسات للتعرف على مميزات الرحلات الحجازية التونسية، أما الرحلات الليبية فكانـــت معلوماتها قليلة جدا، وفيما يخص الإطار المكاني، فكانت منطقة الحجاز ذو أهمية سياسية في التاريخ العربي والإسلامي القديم والمعاصر، ومن ثمة كانت الإشكالية المطروحة هي:
- ✓ ما هي الأسباب والدوافع الحقيقة لإرتحال المغاربة نحو الحجاز؟
- ✓ من هم أهم الرحالة المغاربة الذين إرتحلوا إلى الحجاز إبـــان القـــرن التاســـع ميلادي؟
- ✓ كيف أثر الرحالة المغاربة على البيئة الحجازية في شتى الجوانب؟

منهج الدراسة:

ولدراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية إعتمدنا على المناهج التالية: المنهج التاريخي وذلك لتتبع وتقص الاحداث والوقائع التي تتضمنها الدراسة ووصفها أما المنهج التحليلي فقد إعتمدنا عليه في تحليل الأحداث والوقائع وتفسيرها والتحقق منهـــا للوصـــول إلى نتائج موضوعية.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

وللإجابة على إشكالية الموضوع والأسئلة التي ضمنها فقد إعتمـدنا علـى خطـة تتكون من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، حيث يتفرع كل فصل إلى مباحث وفـي نهايـة كل فصل خلاصة وملاحق للتوضيح أكثر.

لقد تطرقنا في المقدمة إلى التعريف بالموضوع ودواعي إختيارنـا لـه والإطـار الزماني والمكاني والإشكالية المطروحة ثم الخطة المعتمدة في البحث ثم الدراسات السابقة وكذلك المنهج المتبع.

الفصل التمهيدي عنوناه بلمحة تاريخية عن الرحلة وقد عالجنا فيه تعريـف الرحلـة لغة وإصطلاحا، أنواع الرحلات التي انقسمت بين شعرية ونثرية ومن ثم دوافع الرحلات التي إنقسمت بين مباشرة وغير مباشرة ثم تقاليد السفر واهميـة آداب الرحلـة وأخيـرا تطرقنا إلى تعريف منطقة الحجاز لغة وإصطلاحا وموقعه وأهميته.

الفصل الأول وكامن بعنوان الرحلات التونسية إلى الحجاز حيث إخترنا رحلة الشيخ محمد بن عثمان السنوسي صاحب الرحلة الحجازية من أبرز الرحلات الحجازية النثريـة لعلماء تونسيين فقد قام محمد بن عثمان السنوسي برحلة إلى البقاع المقدسة، فالتجـه أولا إلى إيطاليا ومنها إلى إسطنبول فالحجاز ذهابا ومنه إلى دمشق فبيروت وبور سعيد فمالطا في طريق العودة وتعرف على عدة علماء هناك وقد سرد رحلته بأسـلوب شـيق وفيمـا يتعلق بحياة محمد السنوسي وآثاره فإننا هنا حاولنا إعطاء لمحة تحليلية موجزة عن حيـاة الرجل ومؤلفاته وقد قمنا بتوضيح الاعلام والعبارات الغامضة.

الفصل الثاني فقد كان بعنوان الرحلات الليبية إلى الحجاز ولم نعثر إلا على رحـة واحدة في القرن التاسع عشر ميلادي وهي رحلة الشيخ أبي عبد الله محمـد المسـعودي الصيدي والذي سماها "تحفة الزوار" وهي عبارة عن قصيدة شعرية إقتصر فيهـا علـى

زيارة المدينة المنورة والقيام بها سنة 1863م وهو من علماء ليبيا الأجلاء وهـــي رحلـــة بحرية في أولها فانتقل إليه وسافر في الساعة الحادية عشر مـــن الإســـكندرية والقـــاهرة والسويس ثم الأراضي الحجازية إلى طرابلس الغرب سنة 1907م، أما عن آثار الرحلات المغاربية على البيئة الحجازية فيظهر من خلال الحج و أثره في التواصل الثقـــافي بـــين علماء الحجاز والعلماء المغاربة وكيفية إستغلال أداء فريضة الحج لبناء هـــذا التواصـــل الثقافي وكذلك الأثر العلمي والثقافي ومقارنة طريقة التدريس لعلماء الحجـــاز والعلمـــاء المغاربة وكذلك الأثر الإجتماعي والإقتصادي

أما عن خاتمة دراستنا هذه فتضمنت أهم النتائج المتوصل إليها وقد إعتمـــدنا علـــى مجموعة من المصادر التي ساهمت في إثراء الموضوع نذكر منها:

المصادر:

– خير الدين التونسي: **أقوم المسالك في معرفة الممالك ولقد أفادنا من خلالها فـــي معرفة أهم الرحلات المغاربية**، عبيد الله عبد الله بن العزيز الاندلسي: **معجم ما اســـتعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي**، أحمد المقري: **رحلة في المشرق والمغرب**، محمد بـــن عثمان السنوسي: **الرحلة الحجازية** والذي أفادنا بالتفصيل الكامل لرحلة محمد السنوســـي الحجازية وسرد الأحداث التي قام بها.

المراجع:

فهناك كتب ومجلات قيمة في هذا الموضوع وكذلك الاطروحات والرسائل الجامعية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الموضوع وقد تميزت بالدقة والتحليل، وهـــي مراجع عبدت لنا الطريق لإنجاز هذا البحث نذكر منها على سبيل المثـــال فـــي الفصـــل التمهيدي

– أحمد رمضان أحمد: **الرحلة والرحالة المسلمون**، حسين محمد حسين: **أدب الرحلة عند العرب**، سميرة أنساعد: **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، شوقي ضيف: **الرحلات** صالح العلي: **الحجاز في صدر الإسلام**، عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**.

أما الفصل الأول فقد إستفدنا من كتاب محمد الصادق بسيس: **محمد السنوسي حياته وآثاره** وقد أفادنا بمعلومات وافية عن محمد السنوسي، إبراهيم بن عبد الله السماري: **ثقافة مكة في أدب الرحلات الحجازية**، محمد بن حسين بن عقيل موسى الشريف: **المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة**.

أما الفصل الثاني: فقد إستفدنا من كتاب لشيخ الطاهر أحمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، مذكرة الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع ميلادي وأثرها على البيئة الحجازية للحاج صادق وعبد الهادي التازي: **في رحلته الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين** بالإضافة إلى موسوعة العربية العالمية لأحمد شويخات.

العوائق والصعوبات:

التي واجهتني أثناء القيام بهذا البحث عدم تمكننا للأسف الحصول على بعض المصادر والمراجع الهامة رغم المجهود الذي بذلناه في سبيل ذلك قلة الرحلات التونسية والليبية في الفترة المدروسة جعلت البحث ينحصر في حدود الرحلات المتوفرة.

الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عن الرحلة

1- تعريف الرحلة

2- أنواع الرحلات

3- دوافع الرحلات

4- تقاليد السفر وآداب الرحلة

5- الحجاز

إن الإنسان في حياته اليومية في حاجة إلى الرحلة والإنتقال لتحصيل خير الدنيا والآخرة إذ يتحرك ويتنقل من مكان إلى مكان آخر سعيا وراء الرزق أو لأداء الواجب كعبادة الله من نحو وتحصيل علم نافع، أو أداء فريضة الحج أو العمرة، وللرحلة أهمية في مجال المعلومات الجغرافية الإجتماعية والإقتصادية والأدبية، والرحلات تعد مصدرا من المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية وقد كانت الرحلة عونا للمؤرخ والجغرافي على حد سواء.

1- **تعريف الرحلة**

أولا: لغة: تعني الترحال والإرتحال، ويقال رحل الرجل أي سار[1] والرحلة تعني كذلك السير والضرب في الأرض، والرحلة هي الإرحال من مكان إلى آخر[2] وهي الجهة التي يقصدها الإنسان[3]

- الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أ- **الرحلة في القرآن الكريم:** ورد لفظ الرحلة في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في سورة قريش: ﴿إِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)﴾ [4]

وتشير هذه السورة إلى الرحلات التي كان يقوم بها أهل مكة صيفًا نحو اليمن وشتاءًا نحو الشام وقد إرتباطت الرحلة بالتجارة بحكم موقع مكة المكرمة كما قال الله تعالى على لسان خليله ابراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[5]

---

[1]- إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكدم الإفريقي المصري: **لسان العرب**، المجلد11، دار صادر بيروت لبنان،1788ه/ 1968م، ص 276.

[2]-عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الجزائر في القرنين السابع والثامن هجري**، دراسة تحليلية ومقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م، ص 40.

[3]- أحمد بن علي المقري الفيومي: **المصباح المنير**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398ه، ص 264.

[4]- القرآن الكريم: **سورة قريش**، رقم الآية 1- 4.

[5]- القرآن الكريم: **سورة إبراهيم**، رقم الآية 36- 37.

عرفت مكة بمكانتها وشهدت توافد الناس إستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام[1]

ب- الرحلة في السنة النبوية الشريفة: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع أصحابه على الرحلة بغية طلب العلم ونشر الإسلام، والتأمل في هذا الكون والتدبر في آيات الله عز وجل، ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي حث فيها على الرحلة بهدف طلب العلم نذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "...من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ".[2]

إرتبطت الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بعدة دوافع مثل: التجارة وسبل العيش أو مشاهدة آيات الله في الأرض والتدبر فيها، إضافة إلى الحج والعمرة وطلب العلم من منابعه وأصوله في سبيل الله ونصرة لدينه.[3]

ثانيا: إصطلاحا: تعددت مفاهيم الرحلة في الإصطلاح إلا أنها تصب كلها في قالب واحد فقد عرفها الإمام الغزالي: " أنها نوع من مخالطة مع زيادة تعب ومشقة [4] وبمعنى أن الرحلة هي إنتقال وحركة حتى تكون هناك مخالطة"، والرحلة هي نوع من الحركة ومنبعا لمختلف العلوم والمعارف ومصدرا للثقافات الإنسانية وسبيلا لرصد جوانب عدة من حياة الناس اليومية خلال فترة زمنية محددة[5].

كما تعد الرحلة من أهم الفنون الأدبية التي تصور الإتصال بين الشعوب والتفاعل بين الحضارات ما قد ينجم عن هذا التفاعل من صراع فكري وحضاري[6]، وذلك لأن الرحلة لا تكون من دون غرض معين وإنما يكون لها دافعا سواءا كان ذلك ذاتيا يرتبط

---

[1]- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1416ه/ 1996م، ص ص 15- 16.

[2]- محمد إبن عبد الوهاب إبن سليمان التميمي النجدي عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد الحنفي: **شرح كتاب الوحيد**، باب العلم، التوحيد، الجزء 03، ص 02.

[3]- سميرة أنساعد: **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى للنشر، الجزائر 2009م، ص 17.

[4]- أبو حامد أحمد إبن محمد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ص 273.

[5]- معن زيادة: **المقدمة**، مجلة الفكر العربي، العدد 51، لسنة 19، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، ص 04.

[6]- أحمد رمضان أحمد: **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع،(د، ت)، ص ص5-6.

بالرحالة فقط أو يكون دافعا عاما متعلقا بشؤون الأمة كلها في حين يعرفها صلاح الدين الشامي

بقوله:" إن الرحلة تظل إنجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه، أو يقتضيه أمرا إختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه أو المكان الذي تنتهي إليه".[1]

وتبقى الرحلة أعم وأشمل من السفر لأن السفر تقطع فيه مسافات معينة، أما الرحلة فتكون إنتقال من مكان إلى آخر تقطع فيه مسافات كبيرة، وبعبارة أخرى الرحلة " تعني الإنتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان هذا الهدف أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة هي بقطع المسافات فهي السفر وجمعه أسفار"[2] ، ومن خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة وفي الإصلاح تبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة وهذه الحركة يحقق منها الإنسان فوائد عدة فالشخص الذي يقوم بالرحلات ليس هو نفسه الشخص الذي يبقى في مكانة ولا يتحرك، ولقد أشار إلى ذلك المسعودي بقوله: "ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار وإستخراج كل دقيق من معدنه وإنارة كل نفيس من مكمنه".[3]

فيما يخص أدب الرحلة حيث يرى المسعودي: " أن ملكة الرحلة غالبة على الرحالين وغير الرحالين ولكنها تظهر في صور كثيرة غير صورة الرحلة الخارجية، ومنها الرحلة إلى داخل النفس أو في عالم الخيال، والظاهر بل التحقق أنني أنا أحد الرحالين بغير إنتقال... ومع هذا يحلولي أن أقول أنني طفت العالم من مكاني الذي لا أبرحه لأني رأيت من هذا المكان ما لا يراه الرحالة المتنقلون".[4]

---

[1]– صلاح الدين علي الشامي: **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص 11.

[2]– عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: المرجع السابق، ص 05.

[3]– المسعودي أبو الحسن علي إبن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج1، تق: محمد السويدي، موقع النشر الجزائر، 1989م، ص 03.

[4] –نفسه: ص 10.

وهناك من يعرف آداب الرحلة بأنها "نمط تعبيري يتعرض إلى جميع نواحي الحياة إذ تتوفر فيه مادة وفيرة تهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الإجتماع والإقتصاد ومؤرخي الأدب".[1]

ويمكن القول بأن هذا النمط "قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أون يخضع لمقاييسها [2].

فبناءا على هذا التعريف نجد أن الرحلة هي الفن الذي تنصهر فيه مجموعة من الخطابات الأدبية لتتزاوج فيما بينها وتعطي لنا مادة دسمة تزاوج بين المعلومة والفنية في التقديم كما أنها مادة متعددة الجوانب، وهذا ما يذهب إليه مؤرخ الأدب الجغرافي بقوله

"لقد أثار هذا الأدب إهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة "[3]، وقد شهدت هذه الفترة من القرن التاسع عشر قلة الرحلات نحو الحجاز، بسبب مشكلة الصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن أهم أسباب الرحلات التي ذكرها فؤاد قنديل في القرن التاسع عشر نجد: المشكال السياسية والاقتصادية التي ظهرت في العالم العربي، والتدهور الثقافي والحضاري إضافة إلى زوال دولة الإسلام من إسبانيا والنزاعات على السلطة وإكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين وبداية الصعود الحضاري والأوروبي.[4]

2- أنواع الرحلات:

1- الرحلات نوعان شعرية ونثرية

أ- <u>الرحلات الشعرية:</u>

لقد عرف الشعر العربي ذلك ومن الأمثلة أمرؤ القيس الذي أبدع في شعره فلفت الأنظار إليه فيقول:

عوجـا على الطلل المحيـا لعلنـا نبكـي الديـار كمـا بكـى إبـن حـدام

---

[1]- حسن محمد حسين: **أدب الرحلة عند العرب**، ط2، دار الأندلس، بيروت،1983م، ص 06.

[2]- نفسه، ص 09.

[3]- شوقي ضيف: **الرحلات**، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د. ن)، ص ص 11- 12.

[4]- فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ط 2، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 40.

وقد اقتفى كثير من الشعراء الوقوف على الأطلال حتى في صدر الإسلام فضمنوها أشياءا متعددة وقد نبع ذلك مما يشعرون به من إنفعالات في هذه الوقفة،[1] فقد حددوا مواضع هذه الأطلال وصوروا ما أصابها من تهديم وما حل بها من حيوانات وإستعادوا ذكرياتهم ووصفوا أحياهم وتبعوا رحلات فراقهم قال إبن قتيبة:" ليس لمتأخر الشعراء أن يخرجوا من مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي على مشيد البنيان لأن المتقدمين رحلوا عن الناقة والبعير... أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والأوس والورد لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيخ والحثوة والقرارة"، ولا ترتبط الرحلة بالمقدمة الغزالية أو الطلابية، بل تتعلق بالغرض المدحي كما تبين في مقولة إبن قتيبة وذلك حين قال " ويقطع إلى الممدوح مناية النرجس، والأوس والورد" فالشاعر يصف المصاعب والأهوال التي واجهتهم في رحلتهم، والتي إضطروا إلى القيام بها ليصلوا إلى من يمدحونهم وذلك من أجل الحصول على عطاء الممدوح، ومع ظهور الرومانسية في العصر الحديث إنتقص هذا النوع من الرحلات.[2]

ب- <u>الرحلات النثرية:</u>

فالرحلات النثرية هي التي يعني بها المصطلح لا الشعرية وذلك لأن النثرية هي التي يسجل فيها أصحابها انطباعاتهم عما شاهدوه وسمعوه في مختلف المدن والأقطار التي مروا بها وهي تتفاوت بين الطول والقصر.[3]

3- دوافع الرحلات:

1- **<u>الدوافع غير المباشرة:</u>** منها ما هو مرتبط بالمنظومة الثقافية، ومنها ما هو متعلق بالبيئة نفسها فالإسلام قد شجع معتنقيه على الرحلة في آيات كثيرة ولأغراض شتى، ولقد أشار القرآن بنوع من الإمتنان على قريش: ﴿إِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[4]، وذكر إسراء الرسول عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

---

[1]- حسين نصار: **أدب الرحلة**، ط1، مكتبة لبنان، الشركة العالمية للنشر، أولجمان، 1991م، ص 98

[2]- نفسه، ص 99.

[3]- أبوا القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، سنة 1998م، ص 390.

[4]- القرآن الكريم: **سورة قريش**، الآية 02.

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾[1]، وأباح للمظلومين أن يهاجروا ولا يرضخوا للذل والهوان: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[2]، كما شجع على العلم وطلبه وحث على ذلك قائلا:﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [3]

أما الحج فجعله الله فرضا قطعيا بشرط الإستطاعة وهناك أمر عام بالرحالة والسير قصد التأمل والدراسة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [4]، وبهذه التشريعات التي تدعوا إلى الحركة والتنقل توفرت في المنظومة الثقافية والمعرفية للمسلمين دوافع قبول الرحلة، فإذا أضفنا إليها ما يتعلق بالدولة الإسلامية التي إتسعت أطرافها واحتاجت إلى ضبطها بواسطة الإداريين والقادة العسكريين ومنظمي الزكاة والخراج والمخبرين، وربط ذلك بمركز الخلافة (العاصمة)، تبينت لنا حاجة المسلمين للرحلة مما أوجد تسهيلات في الإقامة، وفي التواصل اللغوي والتبادل التجاري والإختلاط الإجتماعي.

أوجد نوعا من الألفة بين معتنقي الإسلام، فأتيح لهم أن يسافروا بأمان ويتعاملوا بثقة فتعددت فرص العمل وإنفتحت أبواب الدعوة والتعليم، بل لقد عملت الدولة على تشجيع

---

[1]– القرآن الكريم: **سورة الإسراء**، الآية01.

[2]– القرآن الكريم: **سورة النساء**، الآية 97.

[3]– القرآن الكريم: **سورة التوبة**، الآية 122.

[4]– القرآن الكريم: **سورة العنكبوت**، الآية 20.

الرحالين، إذ يذكر أن أولى الرحلات الرسمية كانت في "عهد الواثق بالله العباسي"[1]، الذي كلف سلام الترجمان بالسير إلى جبال "القوقاز"[2] بسبب رؤية رآها.[3]

2- **الدوافع المباشرة (الذاتية):** ترتبط الدوافع الذاتية غالبا بالدوافع العامة، التي يستمد منها الأفراد المبررات الكافية للإنطلاق والإقتراب وأكثر الضرورات تأثيرا ما إرتبط بالذات وحاجاتها، التي تدفع الإنسان للرحيل رغم أنها قد تكون مضادة لرغباته أو منافية لتوجهاته العقلية، ومخالفة لإستحسان الأخرين.[4]

أ- **الدافع الروحي:**

يتجلى الدافع الروحي في الرحلات الحجازية من خلال أشعار الشوق والحنين إلى زيارة بيت رب العالمين والتمتع برؤية روضة نبي المسلمين كما قال إبن ناصر الدرعي " تتابعت زفراتي وأنيني وكثر إشتياقي وحنيني إلى تكحيل العينين بمشاهدة مشاهد الحرمين"[5]، فالدافع الروحي في جانبه الصوفي لم يلجأ إليه العجز فكريا أو ماليا أو جسميا ولكنه موجة عمت كل طبقات المجتمع وفئاته من علماء وفقهاء وعامة وملوك أيضا، وهذه الروحانية كانت سائدة في عصر إزدهار الرحلة المغاربية في القرن الثامن، وجعلت الرحالين لا يبالون بما يواجهونه من مشاق الطرق وقد وجدنا إبن اللحياني في

---

[1]- الواثق بالله: (200- 232ه/ 815- 817م)، هارون الواثق بالله إبن المعتصم بالله إبن هارون الرشيد العباسي، من خلفاء الدولة العباسية ولد ببغداد تولى الخلافة بعد وفاة والده 227ه/ 842م، كان كريما عارفا بالأنساب، وبوفاته إنتهى العصر الذهبي للدولة العباسية. أنظر: د/أحمد شويخات: **الموسوعة العربية العالمية**، 1425ه/ 2004م.

[2]- القوقاز: هو إقليم يشمل أرمينا أذربيجان وجورجيا وجزء صغير من روسيا، وتنقسم جبال القوقاز إلى البحر الأسود وبحر قزوين، التي تمتد على 1،210 كلم^2، إستولى عليه الأتراك والفرس والروم قبل سنة 1917م. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

[3]- حسين محمد فهيم: **أدب الرحلات**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، سنة 1409هـ/ 1989م، ص ص 90- 91.

[4]- ناصر الدين عبد الرزاق الموافي: **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري**، ط1، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، 1415هـ/ 1995م، ص 35.

[5]- أحمد ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية**، طبعة حجزية، خزانة كلية الآداب، الرباط ، رقم 13، درع، ص ص 4-5.

رحلة التجاني يعزم على الحج رغم نصح الناصحين بإستحالة الحج مما جعله ينتظر أكثر من عام بعيدا عن العاصمة تونس انتظار ركاب الأمن المشرق.[1]

ب- الدافع العلمي:

منذ عهد مبكر إرتحل علماء المغاربة إلى الشرق لأهداف تعليمية كما كان المشارقة الأوائل يرتحلون لجمع اللغة العربية والأحاديث والأخبار وتأليفها، فكانت الرحلة لطلب العلم أمر مستفيضا بين أرباب كل التخصصات وتعويضا لنقص إنتشار الكتب يقول إبن خلدون: " الرحلة لا بد منها في طلب العلم لإكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال...".[2]

تعتبر الرحلة من شروط إكتمال المعارف ووسيلة للقاء الشيوخ بشد الرحال إليهم وصارت مكانة العالم تقاس بإتساع رحلته وكثرة الشيوخ الذين أخذ عنهم ولما كان المغرب العربي معروفا منذ القديم بتعدد المدارس وكثرة الخريجين، فقد كان الكثير منهم يطمحون لإستكمال دراستهم بالمعاهد العلمية الكبرى بحواضر الشرق السلامي خاصة منطقة الحجاز. وقد إستقر بعضهم بتلك المنطقة ولم يعودوا إلى أوطانهم وتحفل كتب التراجم بأسمائهم [3] لم تكن المدينة المنورة هي المعقل الوحيد وإن كانت تحتل الصدارة بل قصد طلاب العلم معظمهم الحجاز بسبب تعدد المراكز العلمية، وقد أسهمت المراكز العلمية بدور كبير في زيادة النشاط العلمي كما أسهمت الرحلة إلى طلب العلم في سرعة إنتشار الآراء والمذاهب والأفكار على أيدي طلاب العلم والمتعلمين[4].

وإذا كان طلب العلم قد شغل إهتمام العديد من الرحالين إلا أنه وإبتداءا من القرن الثالث عشر بدأ طابع الرحلة في طلب العلم يطغى على نمط الرحلة، وما لبث أن إتسع نطاق إنتشاره على ممر القرون حتى بلغ الأوج بوجه خاص في العهد التركي، بل هناك من

---

[1]- أبو محمد عبد الله التجاني: **الرحلة التجانية**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار العربي للكتاب، ليبيا، تونس، سنة 1981م، ص 191.

[2]- إبن خلدون: **المقدمة**، تح: درويش جويدي ، ج1، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ص 541.

[3]- محمد بن خوجة: **من صلات الإخاء والصفاء والعلم الرواية بين رجالات تونس والمغرب**، مجلة المناهل، العدد2 1976م، ص 35.

[4]- محمد علي فهيم بيومي: **المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر هجري والثامن عشر ميلادي**، ط1، دار القاهرة، 1427هـ/ 2006م، ص 14.

العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة إرتباط عضويا لا إنفصال له مثل الجغرافيا ولذلك نجد الجغرافيين المسلمين معظمهم من الرحالة.[1]

ج- الدافع الإداري:

وهي رحلة رسمية يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشأن البلاد كما قد تخص الحاكم نفسه، بل إن هذا التنوع من الرحلات قد يكون بهدف التجسس والإستطلاع كرحلة سلام الترجمان عام 227هـ/ 811م التي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله قصد معرفة حقيقة سد الصين الكبير الذي يقال أن الإسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج و مأجوج [2]، فالرحلة الإدارية فرضتها ظروف البلاد إذ اقتضت ضرورة الحكم والإدارة وتقدير الثروات وحجم الضرائب أن يكلف الحاكم بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات والحقائق وتقديم التقارير سواء أطلق على النشاط صفة الجغرافية الإدارية أو كتابة تواريخ الأقاليم فقد لعبت الرحلات دورا هاما في آدائها [3].

كما أن هناك من الرحلات ما كانت ذات دافع ديني أو علمي ولكن الظروف جعلت جزء منها رحلة رسمية، ومن هذه الرحلات نذكر رحلة "إبن بطوطة"[4]، رحلة "إبن خلدون"[5] وغيرهم من الرحالة فإبن بطوطة مثلا معروف أن رحلته كانت دينية لغرض أداء مناسك الحج ولكن رغبته في السفر جعلته يواصل الرحلة بعد فريضة الحج ليختاره سلطان الهند كسفير له في الصين: "وبعث إلى السلطان خيلا مسرجا وجواري وغلمانا وثيابا ونفقة فلبست ثيابه وقصيدته..." ولما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما

---

[1]- حسين نصار: المرجع السابق، ص 32.

[2]- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 09.

[3]- حسين محمد فهيم: المرجع السابق، ص 91.

[4]- إبن بطوطة: (1304- 1377م)، هو عبد الله محمد بن عبد الله إبن محمد إبن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحالة ومؤرخ ولد بطنجة بالمغرب الأقصى، جاب عدة مدن من أشهر الرحالة المسلمين من أهم آثاره، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

[5]- إبن خلدون: (1332- 1406م)، هو عبد الرحمان إبن محمد بن خلدون، مؤسس علم الإجتماع ولد بتونس تقلد عدة مناصب منها: كاتب إبن إسحاق سلطان تونس، وكاتب لإبن عنان سلطان فاس، إنتقل إلى بجاية و من أشهر مؤلفاته المقدمة. **أنظر:** عبد الرحمان إبن محمد الخضرمي الإشبيلي: **رحلة إبن خلدون**، تع: محمد إبن تاويت الطبخي، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيوض، بيروت، لبنان، 1325ه/ 2004م ، ص ص 27- 28.

كنت أعهده وقال لي " إنما بعثت إليه لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين فإني أعلم حبك للأسفار والجولان فجهزني بما أحتاج له..." فقد كانت رحلته ذات دافع ديني في الوهلة الأولى لتشمل بعد ذلك عدة جوانب علمية إدارية.[1]

د- <u>الدافع الإقتصادي:</u>

عرف الإنسان الرحلة منذ القدم وكان من بين أهدافها التجارة سعيا لطلب الرزق بحكم الموقع الاستراتيجي للوطن العربي الذي يتوسط قارات العالم القديم، كان مركزا للإلتقاء والطرق التجارية بين هذه القارات كما أن إنفصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية جعلها تحتل موقعا تجاريا هاما" [2]، فالتجارة كانت من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة إلى تدوين رحلته حتى يعين للقارئ معرفة طرق التجارة البرية والبحرية ولعل أول ما إرتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان و المسالك والممالك لوصف الطرق والمناخ والعديد من الأمور الأخرى.

وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان والبقاع وكانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضرورات الحاج والمسافر إذ لا بد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة"[3]، وبذلك كانت التجارة من العوامل التي تشجع على الرحلات وتنشيطها كما أن " إزدهار الحضارة الإسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر وطبيعة الدين الإسلامي كل ذلك من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات"[4]، إن تعدد أغراض الرحلة والإرتحال كان من أثرها إفراز فن نثري عرف بأدب الرحلة وإذ كانت هذه الدوافع عديدة إلا أن أرفعها قيمة علمية وأدبية هي تلك التي قام بها أصحابها بتأليفها بسبب خروجهم للحج أو طلب العلم أو الإثنين معا.[5]

---

[1]- محمد بن عبد الله إبن بطوطة: **رحلة إبن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار والعجائب والأسفار**، تح وتـق: الشيخ عبد الله المنعم العريان، ج1، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1407ه/ 1987م، ص ص 202- 203.

[2]- نوال عبد الرحمان الشوابكة: **أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القـرن التاسـع الهجـري**، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م، ص 18.

[3]- نوال عبد الرحمان الشوابكة: المرجع السابق، ص 47.

[4]- زكي محمد حسين: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي،بيروت،1981م، ص 06.

[5]- عواطف محمد يوسف نواب: المرجع السابق، ص 48.

ه- الدافع الصحي:

كالسفر للعلاج أو الإستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالإرتحال إلى المناطق الريفية ونحوها وقد يكون هربا من والباء أو الطاعون أو التلوث.

و- الدافع السياحي والثقافي:

يصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر وإكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لمعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب.[1]

ز- الرحلة الشخصية:

من الطبيعي أن يقوم أشخاص عديدون بالسفر حبا في السفر ودفعا للخمول والركود يتحلى هؤلاء بروح المغامرة والمجازفة، فيقومون بالسفر بمحض إرادتهم وقد كان هذا الأمر قليلا في القديم، لكنه يكاد يكون السائد في عصرنا وخاصة لما إنتشرت وسائل المواصلات وأصبحت ميسورة ومأمونة وإزداد الشوق والحب للسفر والتجوال يقول "أحمد فارس الشدياق"[2]: "كنت في عنفوان شبابي، وحدة جلبابي و إزدهار سني، وازدهار ذهني مولعا بالسفر والإغتراب والترحال عن الوطن والأصحاب إلى بلد ينصر فيه غربي وتطلب فيه نفسي وإقتبس فيه من مصابيح العلم قبسا".[3]

ح- الرحلة الخيالية:

هي من نسيج خيال الكاتب تحدث ضمن مكان وزمان مختلفين "يقوم فيها الإنسان في مناطق غير حقيقية وتصور مغامرات خارقة بقصد التسلية وإثارة الخيال مثال ذلك رحلات سندباد البحري"[4]، وإذا كان الرحال في الرحلة الخيالية يرحل بعقله وقلمه لا بجسده فقد ذهب بعض الدارسين ومن هؤلاء حسين نصار إلى القول بضرورة إخراج هذا

---

[1]- فؤاد قنديل: المرجع السابق، ص 20.

[2]- أحمد فارس الشدياق: (1804- 1887م)، هو أحمد إبن فارس إبن يوسف إبن منظور، ولد في قرية عشقوت بلبنان شغل عدة نواحي مثل التجارة وتدريس الصغار أصدر جريدة الجوائب قام بترجمة الإنجيل وتوفي بالاستانة، من أهم كتاباته: الساق على الساق، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

[3]- حسين نصار: المرجع السابق، ص 45.

[4]- مجدي وهبة، كامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ص 176.

النوع من أدب الرحلة وإدراجه ضمن فن القصة لطغيان الخيال فيه، ولكن عنصر الخيال وحده لا يكفي لأن هناك عناصر أخرى لا بد من توفرها.[1]

ولعل هذا ما دفع بشوقي ضيف إلى القول بأن " الإنسان ولد راحلا، وأن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال[2]، لأن الرحالة عندما يسرد لنا الأحداث يمزج لنا الواقع بالخيال وبعبارة أخرى أنه" يتخذ أساسا من الواقع ثم يدبر حوله وقائع مبتكرة، كما فعل القصاصون الشعبيون مع رحلتي الإسراء والمعراج".[3]

3-تقاليد السفر وأهمية آداب الرحلة

1- تقاليد السفر وآداب الرحلة

كان الإنسان في البداية يسافر ماشيا أو راكبا على المواشي فالمراكب سواءا كانت بحرية أو برية قد أصبح السفر حاليا جويا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بالرحلات المختلفة ويرشدهم بالنصائح في سفرهم ووضع النبي صلى الله عليه وسلم تقاليد الرحلة وآدابها ثم الخلفاء الراشدين من بعده والعلماء أوضحوا تلك التقاليد والآداب.

فقد ذكر العلماء آداب كثيرة للسفر ونذكر بعضا منها: إذ قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في آداب السفر:

1. أن يبدأ برد المظلم وقضاء الدين وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الحلال وطيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر فإنه يخرج خبايا البطن، من صلح لصحبة السفر صلح لصحبته الحضر وقد يصلح وفي الحضر من لا يصلح في السفر.[4]

2. أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق، و ليكن رفيقه من يعينه على الدين ومن الأفضل أن يكون هي الزوجة والأولاد في الرحلة والسفر وهذه هي السنة لأن النبي صلى الله وعليه وسلم كان إذا عزم على السفر كان يقرع بين نسائه كما في

---

[1]- حسين نصار: المرجع السابق، ص 49.

[2]- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 07.

[3]- حسين نصار: المرجع السابق، ص 49.

[4]- أبو حامد أحمد إبن محمد الغزالي: ج6، المصدر السابق، ص 107.

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "عن عائشة أن النبي كان إذا سافر أقرع بين نسائه".[1]

3. أن يودع الأهل والأسرة، يقول الإمام الغزالي في الأدب الثالث قائلا: " أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء، وليدع عند الوداع بدعا رسول الله عليه السلام حيث روى عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة".[2]

4. أن يصلي قبل سفره صلاة الإستخارة، ووقت الخروج يصلي لأجل السفر[3]، أن يرحل عن المنزل بكرة ويفضل أن يخرج يوم الخميس.

5. الإكثار من المشورة، وينبغي أن يستصحب معه أشياء.

6. أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تقدر ولا يضربها في وجهها فإنه منهى عنه ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة.[4]

7. يقول فؤاد قنديل: " إن آداب الرجوع من السفر أن يحمل المرء لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة وهو دلالة على إلتفات القلب إلى ذكرهم وهو في السفر وقد حث الإسلام والرحلة وسهل دينه في السفر حتى التقصير في أداء الفرائض وأباح التيمم بدلا من الوضوء في حالة عدم وجود الماء، وأجاز الإفطار للصائم المسافر في شهر رمضان".[5]

8. الدوام بالأدعية المنسوبة في بداية السفر وأثناء السفر وفي منتهى السفر من الأدعية.[6]

---

[1]– الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي إبن قليج إبن عبد الله الحنفي: **سنن إبن ماجة**، ح/ 2237، مكتبة نزار مصطفى البار، مكة المكرمة، 1999م.

[2]– فؤاد قنديل: المرجع السابق، ص 38.

[3]– أبو حامد أحمد إبن محمد الغزالي:ج6، المرجع السابق، ص 108.

[4]– نفسه:ج3، ص 214.

[5]– فؤاد قنديل: المرجع السابق: ص 38.

[6]– نفسه: ص 40.

2- **أهمية الرحلة:**

تساهم الرحلات في حفظها للعديد من العلوم والمعارف من خلال مصنفات العديد من الرحالة من جراء إتصالهم بالطبيعة وبالناس وبالحياة من خلال رحلاتهم كإبن بطوطة و"إبن جبير"[1]

الورثلاني وأبو العباس الناصري وغيرهم من الرحالة، وقد تناولت تلك الرحلات نظم الحكم القائمة والعادات والتقاليد والظواهر الطبيعية وغيرها من المواضيع من خلال فترة زمنية محددة[2].

كما تكمن أهمية الرحلة في قيمتها العلمية الكبيرة لما تحتوي عليه من معلومات قيمة في وصفها لمناطق الصراع ومختلف جوانب الحياة، سواءا الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية أو الإجتماعية، الأمر الذي جعل الرحلة من أهم روافد العلم التي إستندت عليها مختلف العلوم والعلماء في كتاباتهم، ومن أهم قيمة الرحلات القيمة العلمية والأدبية.[3]

وإذا كان من المؤكد أن بعض الرحلات تكتسب خصوصية تضفي عليها مزيدا من الأهمية فمن المؤكد أن هذه الخصوصية ترجع حينا إلى طبيعة الرحلة وأحيانا إلى صاحبها أو مكانها أو زمنها أو الظروف المحيطة بها، ولذا إنفرد بعض الرحالة بالتميز والدقة المنتهية في وصف الرحلة والتعريف بدقائقها وبتسجيلها لكل صغيرة وكبيرة، والأسلوب السهل الممتنع عند عرض عناصر رحلتهم، مما يملك من أدوات التأثير اللغوي، الأمر الذي يكسب الرحلة أهمية وخصوصية تأسر القارئ.

كذلك من أهم خصائص الرحال لغة الحوار الذي يدور بين الرحال والأشخاص الذين يلتقيهم[4]، كان هؤلاء الرحالة يسجلون إنطباعاتهم كل حسب مرتبه وتكوينه فمنهم

---

[1]- إبن جبير: (1114- 1217م)، هو محمد إبن أحمد إبن جبير الكناني البلنسي، من أعلام الرحالة الأندلسيين في القرن الخامس هجري تعد رحلته من أهم الوثائق التاريخية وتسمى أول رحلة له تذكرة بالأخبار عن إتفاقات الاسفار. أنظر: إبن جبير: **رحلة إبن جبير**، (د, ط)، (د. ت)، دار صادر، بيروت. ص 05.

[2]- أحمد رمضان أحمد: المرجع السابق، ص 13.

[3]- محمد حسن علي محمد: **أدب الرحلات والعراقي في القرن 19 ومطلع القرن 20**، مجلة المورد، العدد4، من خلال كتب الرحالة سنة8، وزارة الإعلام والثقافة، بغداد، 1989م ص 27.

[4]- إبراهيم إبن عبد الله السماري: **ثقافة مكة المكرمة في أدب الرحلات الحجازية**، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426ه، ص ص 146- 147.

من طبع على كتاباته الطابع الديني ومنهم من إهتم بالعلم ورجاله ومنهم من تحدث عن المدن ووصف المسالك والممالك ولكن أعمالهم جميعا أصبحت لا يستغني عنها المؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلماء الإجتماع [1]، ومن فوائد أدب الرحلات، القيمة التعليمية التي تختزنها فكتب الرحلات تثقف القارئ وتثري فكره ومعلوماته عن منطقة ما أو مجتمع ما وذلك حين تصور ملامح حضارة المنطقة في عصر محدد فالحضارة تكون مصدر ثقافة ذلك المجتمع وبالرغم من وسائل البحث والتدوين الحديثة في قراءة وكتابة التاريخ الاجتماعي لبلد أو لمرحلة تاريخية، والتي جعلتنا على معرفة أوسع وأدق بهذه البلد أو تلك المرحلة من خلال إعتماد السجلات المدنية وأحكام القضاء والمدونات الأخرى، إلا أنها بهذه الوسائل رغم أهميتها غير كافية، فقد يحصل تعسف أيضا في كتابتها أو تحليلها أو قراءتها والسبب في ذلك غياب الشاهد الإنساني، ذلك الإنسان الذي عاش تلك الأحداث مرحلة بمرحلة وعانا منها أو إستلذ بها وليس هذا المصدر الذي يتمتع بمثل هذا الشاهد إلا كتب الرحلات التي تركها لنا الأقدمون من أمراء وسياسيين ورجال دين أو تجار ويقول شوقي ضيف في كتابه الرحلات:" إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي".[2]

4- الحجاز

أولا: لغة: مصدرها حجز و معناه "الحاجز والمانع" وفي اللغة "حَجَزَهُ، يَحْجِزُهُ" بمعنى منعه وصده عن قصده"، يقول إبن منظور في لسان العرب: الحجز هو الفصل بين الشيئين أي حَجَزَ بينهما يَحْجِزُ حجزًا وحِجَازَةً فأحتجز وإسم ما فصل بينهما الحاجز الأزهري الحجز أن يحجز بين مقاتلين ثم يقول: والحجاز هو البلد المعروف، سميت بذلك الإسم من الحجز أي الفصل بين الشيئين لأنه فصل بين الغور والشام والبادية وقيل لأنه حجز بين "نجد"[3] والسراة وقيل لأنه حجز بين تهامة ونجد.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **تجارب في آداب الرحلة**، عالم المعرفة، المحمدية، الجزائر، 2011، ص 210.

[2]- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 06.

[3]- نجد: أو هضبة نجد: منطقة وسط شبه الجزيرة العربية تقطن فيها معظم القبائل العربية الشهيرة مثل: بن أسد، بن عامر، و بن قشير، إشتهرت بطيب هوائها وقد تغنى العديد من الشعراء بها. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

وقيل سميت بذلك لأنه حجز بين نجد والغور وقال "الأصمعي"[1]: "لأنها إحتجزت بالحرار الخمس منها حرة بني سليم وحرة واقم"، ويقال للجبال أيضا حجاز ومنه قوله: "ونحن أناس لا حجاز بأرضنا و أحجز القوم وإحتجزوا أتوا الحجاز وتحاجزوا وإنحجزوا وإحتجزوا أي تزيلوا" [2]، والحجاز هو حبل يلقى للبعير من قبل رجليه ثم يناخ عليه ثم يشد به رسفا رجليه إلى عجزه، ومنه نقول حجزت البعير أحجزه فهو محجوز.

الحجاز: هو الحاجز أو ما يشد به الوسط لتشمير الثياب، والحجاز عقال الدابة والحجاز من بلاد العرب، ما بين تهامة ونجد والحجاز نوع من ألحان الموسيقى، والحاجز هو الفاصل بين الشيئين "أقام حاجزا بين الحديقتين"[3]، عرفنا من هذه المعاني أن كلمة الحجاز كلمة عربية، ومعناها الحد الفاصل ولكن الخلاف هو على السبب الذي أطلق على هذه المنطقة إسم الحجاز وكذلك على الأقاليم التي يحجز بينها، وعلى حدوده الجغرافية وهذا الخلاف سنعرفه في المعنى الإصطلاحي.[4]

ويقول بكر إبن عبد الله أبو زيد: الحجاز في اللغة: "الحد الفاصل وفي سبب تسميته هناك وجهان".

- ✓ سميت الحجاز حجازا، لأنها قد إحتجزت بالجبال أو الحرار أو بهما، فسميت حجازا فهو من الإحتجاز، وبمعنى شد الوسط بالحجزة أو الحجاز.
- ✓ لأن جبالها وحرارها قد حجزت بين نجد والسراة وبين نجد واليمن أو بين نجد وإقليم تهامة أوبين الشام والغور وسميت بذلك حجازًا.[5]

ثانيا: إصطلاحا: وفي حديث حارث إبن حسان قال: يا رسول الله " إني رأيت أن تجعل الدهناء حجازا بيننا وبين بني تميم"، أي حدا فاصلا يحجز بيننا وبينهم قال وبه سمي

---

[1]– الأصمعي: (740– 830م)، هو سعيد إبن عبد الملك إبن قريب الباهلي ولد في البصرة اشتغل باللغة و من أهم مؤلفاته نجد: غريب القرآن، خلق الإنسان، الأجناس. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

[2]– إبن منظور: المصدر السابق، ج3، ص 63.

[3]– نفسه، ص 64.

[4]– أبو بكر يعقوب إبن عبد الله شهاب الدين البغدادي الحموي الرومي: **معجم البلدان**، المجلد2، دار صادر، بيروت 1397هـ/ 1977م، ص 219.

[5]– إبن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف داود الشهير: **صفة جزيرة العرب**، مطبعة بريل لندن، 1884م ص 14.

الحجاز الصقع المعروف من الأرض[1]، وقال الحسن: " إنما سمي الحجاز حجازًا لأنه حجز على الأنهار و الأشجار".[2]

ويقول ياقوت الحموي: قال بعض أهل السير: " إنه لما نبلبت الألسن ببابل وتفرقت آثار العرب إلى مواطنها سار طسم بن أرم في ولده يقول: آثار إخوته وقد إغتروا على بلدانهم فنزل دونهم بالحجاز قسموها حجازًا " لأنها حجزتهم عن المسير في آثار القوم لطيبها وكثرة خيراتها.

وقال الخليل إبن أحمد: سمي حجازًا لأنه فصل بين الغور وبين الشام وبين تهامة ونجد والحجاز جبال ممتد حال بين الغور وتهامة ونجد فكأنه منع كل واحد أن يختلط بالآخر فهو حاجزا بينهما "[3]، وذكر الأصمعي فيما رواه عنه إبن الفقيه وياقوت الحموي: " أنه سمي الحجاز حجازًا لأنه يحجز بين تهامة ونجد".[4]

1- موقع وحدود الحجاز

لقد إختلفت أقوال المؤرخين في تعيين موقع الحجاز وتحديد حدوده، ونستعرض بعض الأقوال و الآراء في تعيين حدود منطقة الحجاز الطبيعية، إذ ينقل لنا "البكري" جملة من الآراء حول تحديد الحجاز ومنها أنها ذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز والحجاز هو ما حجز فيما بين اليمامة والعروضين، وفيما بين اليمن ونجد.

كما أن الحجاز إثنا عشر دارا وهي: المدينة، "خيبر"[5]، فدِك، ذو المروة، دار بلي دار أشجع دار هوازي، جبل سليم، جبل هلال، وحد الحجاز الأول بطن نخل وأعلى قمة وظهره حرة ليلى والثاني مما يلي الشام شعب وبدو والثالث مما يلي تهامة وبدر السقية

---

[1]- إبن منظور:ج7، المصدر السابق، ص 197.

[2]- أبي عبد الله إبن عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي: **معجم ما إستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تح: مصطفى السفا ج1، 1305ه/ 1954م، القاهرة، ص 01.

[3]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 219.

[4]- صالح العلي: **الحجاز في صدر الإسلام**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1410هـ/ 1990م ، ص 64.

[5]- خيبر: ممر يقع بين حدود باكستان وأفغانستان من أشهر الممرات الجبلية في العالم، وهو أسهل طريق بين شبه الجزيرة الهندية وأفغانستان. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

وزهاط وعكاظ، والرابع مما يلي سنايا وودان، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نخل وأعلى زمة ومكة من تهامة والمدينة من الحجاز.[1]

ويقول الشافعي: "إن الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة واليمامة ومخاليفها كلها ولا يجب دخول مشرك بلاد الحجاز ولا يقيم الذمي أكثر ليال، لكنه لا يرى مانعا إن يركب أهل الذمة بحر الحجاز ويمنعون من المقام في سواحله وكذلك إن كانت في بحر الحجاز جزر وجبال تسكن منع سكناها لأنها من أرض الحجاز".[2]

ويقول "لبيب البتنوني" في الرحلة الحجازية:" أما الحجاز فهو إقليم مستطيل يحده غربا البحر الأحمر وشرقا البادية الكبرى وجنوبا "بلاد عسير"[3]، وشمالا بادية الشام، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب 1500 كيلوا متر مربع، وعرضه من الغرب إلى الشرق يبلغ ثلاث مائة كيلو متر مربع ويقطعه من الشمال إلى الجنوب جبال السراة ويبلغ إرتفاع بعضها 8000 قدما، وبها مياه كثيرة وغابات وبساتين وقرى آهلة بالسكان من الأعراب، ومنحدرات هذه الجبال تتصل بها سهل إلى البحر يسمونه تهامة وأرضها رملية وبعضها صالح للزراعة ويزرع بها الحبوب وغيرها من الخضر"[4]، ويقول ياقوت الحموي في حد الحجاز: "حد الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة فنصف المدينة حجازي و نصفها الآخر تهامي، وبطن نخل حجازي وبحذائها جبل يقال له الأسود".

نصفه حجازي ونصفه الآخر نجدي ذكر إبن أبي شبه أن المدنية حجازية" [5]، ويرى صالح العلي، أن يقول بأن السراة هي الحجاز غير واف ولا دقيق، فمن المعروف أن بعض أقسام السراة وخاصة ما كان فيها في الجنوب والشمال لا تسمى حجازا وإن المسمى الحجاز ويتركز في وسط السلسلة، وبعد عرض ونقاش للآراء المؤرخين والجغرافيين المتقدمين إلى أن الرواة العرب أدركوا الأسس الجغرافية لتحديد الحجاز

---

[1]– أبي عبد الله إبن عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي: المصدر السابق، ص 09– 11.

[2]– أبو عبد الله محمد الإدريس بن العباس إبن عثمان بن الشافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القريشي المكي الشافعي: **كتاب الأم**،ج4، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ/ 1990م، ص ص 177– 178.

[3]– بلاد عسير: هي إحدى مناطق المملكة العربية السعودية، في أقصى الجنوب الغربي للمملكة، تتكون من عدة محافظات وعاصمتها أبها تبلغ مساحتها حوالي 70،000 كلم^2. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

[4]– لبيب البتوني: **الرحلة الحجازية**، ط2، المطبعة الجمالية بمصر، 1329هـ، ص 40.

[5]– ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 219.

فأعتبروه الحد الفاصل بين تهامة ونجد غير أن التوسع في الجهة الشرقية كان متأثرا بالتنظيمات الإدارية في زمان كل مؤلف.[1]

2- أهمية الحجاز

للحجاز أهمية سياسية في التاريخ العربي والإسلامي القديم والمعاصر فمنه إنطلقت الفتوحات الإسلامية الأولى كما له أهمية روحية وثقافية وإقتصادية، فهو مصدر الرسالة المحمدية وفيه يقع الحرمين الشريفين الكعبة وقبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو قبلة المسلمين في صلواتهم اليومية، وبذلك نشأة عدة مدن تجارية في الحجاز، مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وخيبر وواد القرى، من أجل تقديم الخدمات لتجارة القوافل ولقد أورد الجغرافيون العرب المسلمون عدة مدن للحجاز، وذكروا أن أهم المدن الرئيسية فيها هي مكة والمدينة.[2]

وفي خلاصة الفصل نرى أن فن الرحلة لون أدبي فيه فائدة للمؤرخ مثل الباحث في التاريخ والأدب والجغرافية وعلم الإجتماع وغيرهم، والرحلة هي لطلب العلم والإستفادة من علماء الحجاز وأداء فريضة الحج من أهم العوامل التي دفعت الرحالة إلى الحجاز وبخاصة إلى المدينة المنورة زيارة البيت الحرام والمسجد النبوي، وعليه تعتبر منطقة الحجاز من أهم المناطق في العالم الإسلامي حيث أن بلاد الحجاز تركت أثرا عظيما في نفوس المسلمين ولعل أن ذوق الرحلة يكمن فيما يروى مباشرة عن طريق المشاهدة البصرية للوقائع والأحداث بالإضافة إلى ما يدلي به من ترشيد وتحليل للوقائع والمقرورات مما يعكس رأيه الأشخاص والأماكن والتصورات.

---

[1]- صالح العلي: المرجع السابق، ص 61- 73.

[2]- الإصطخري: **المسالك والممالك**،ج1، دار الهلال، مصر، القاهر، 1946م ص21.

الفصل الأول: رحلة محمد بن عثمان السنوسي إلى الحجاز خلال القرن 19م

1- محمد بن عثمان السنوسي

2- مؤلفاته

3- أساليب وظروف تأليفه للرحلة

4- طرق رحلته إلى الحجاز

5- مميزات رحلة محمد بن عثمان السنوسي

من الدوافع الملحة للإنتقال المغاربة إلى الشرق العربي نجد العامل الديني ولا سيما أداء فريضة الحج وما يتصل بها من طلب العلم والجهاد في سبيل تحصيله، ولئن كانت نسبة هامة من الحجيج المغاربة وفق بين الأغراض الدينية والدنيوية وكانت تكرس جهودها للإستفادة العلمية عن طريق ما يلقى من دروس في مختلف المراكز العلمية للإستفادة منها وأمام كثرة العلماء المغاربة الذين ترددوا على الحجاز والذين خلدوا رحلاتهم الدينية والعلمية بتدوين ما شاهدوه وما أثر فيهم ليس فقط في الحجاز ولكن في مختلف المدن والمحاطات الواقعة على طريق الحج، ومن العلماء التونسيين نذكر رحلة الشيخ علي نور الدين اليشرطي والشيخ محمد بن عثمان السنوسي.

1- الرحلة الحجازية لمحمد السنوسي

أ/ مولده ونسبه

ولد محمد بن عثمان بن محمد السنوسي بحاضرة تونس في 22 ذي القعدة سنة 1267ه/ 18 سبتمبر 1851م، نشأ في بيت طغى عليه العلم وقد عرفت وإشتهرت عائلة محمد السنوسي بخدمة العلم على مدى العصور، فقد ظن بعض المعاصرين لمحمد السنوسي أن بيت السنوسي جاءت من "طرابلس الغرب"[1] وأن لها علاقة بالطريقة السنوسية[2] في طرابلس الغرب، وردا على هذا الظن الناتج عن المشاكلة اللفظية قال محمد السنوسي: " أن أصل مقدم أجدادي كان من الغرب منذ أربعة مائة سنة، ومبدأ إقامتهم كان في جهات "الكاف" وزواياها لا زالت مزارة مثل "زاوية سيدي عساكر" دفين قلعة سنان والزوايا أصولها وفروعه اللذين تنقلوا للكاف[3] مدة لخدمة العلم وآخرهم هناك الشيخ سيدي عثمان بن الحاج محمد بن أحمد مهنيه دفين جامع الشيخ حرز الله كان في خطبة الإفتاء ثم تنقلوا لحاضرة تونس منذ أكثر من مائة سنة في الخدمات العلمية وعملوا

---

[1]- طرابلس الغرب: عرفت بإسم تريبو ليتانيا Tripolitania في القرن 03م، وعرفت قبله بإسم سرتيكا Syrtca وهي تشمل المنطقة ما بين الخليجين (خليج سرت وخليج قابس). أنظر: إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، تر وتق: محمد النابلسي، ط1 ، مكتبة الإسكندرية، الدار العربي للكتاب، 1974م، ص 25.

[2]- محمد السنوسي: **الرحلة الحجازية**، تح: علي الشنوفي، ج2، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، 1978م، ص 01.

[3]- أنظر (الملحق رقم 01، ص 70).

في خطط القضاء إلى هذا العهد[1]، فجده وأبوه توليا القضـــاء المـــالكي وإلتحـــق محمـــد السنوسي بجامع الزيتونة حيث تتلمذ على يد أعيان المدرسين كالشيخ "محمود بـــن علـــي قابادو"[2] و"الشيخ محمد بيرم الخامس"[3] وغيرهم ويعود نسبه إلى "الطريقة القادرية"[4] وبعد أن صار محمد السنوسي من أنجب خريجي جامع الزيتونة جلس به لتـــدريس إثـــر حصوله على شهادة التطويع سنة 1287ه/ 1870م[5] إنتخبه محمد بيرم الخامس كاتـــب أول لمجلس جمعية الأوقاف ثم في سنة 1293ه/ 1876م[6]، ويعتبر "محمد بيـــرم" أحـــد أصدقاء الشيخ محمد السنوسي اللذان سجلا إنطباعاتهم عن المشرق العربي وعن الحجـــاز في آثار نثرية.[7]

ويعتبر محمد بن عثمان أديب له إشتغال بالتاريخ والنظم، كان يحرر جريدة "الرائـــد التونسي" الرسمية وعين حاكما في القسم الجنائي بمحكمـــة الـــوزارة بتـــونس، ومدرســـا بالجامع الباشي فيها، له "مجتمع الدواوين التونسية" جمع به دواوين الشـــعراء التونســـيين المتأخرين عدة مجلدات طبع بعضها وله "مسامرة الظريف بحسن التعريف" وهو تـــاريخ

---

[1]–محمد إباضة، محمد رياض: **إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلـــي)**، ط1، دار صـــادر بيـــروت 1999م، ص 243.

[2]– الشيخ محمود قابادو:(1812– 1871م) هو شاعر ومتصوف وهو من أسرة شريفة إهتم بالتصوف دراسة بجـــامع الزيتونة على يد الشيخ أحمد بن الطاهر من أهم أعماله أنه أشرف على تعليم أبناء كبار الدولة ثم توجه إلى إســـطنبول وقد كان مولعا بالإكتشاف والتجوال. أنظر: نقولا زيادة: **أعلام العرب المحدثون من القرن 18– 19م**، الأهلية للنشـــر والتوزيع، بيروت، 1994م، ص 39.

[3]– الشيخ محمد بيرم الخامس:(1840– 1989م)هو مفكر وأديب ومؤرخ ولد بتونس من نسب محتـــرم درس بجـــامع الزيتونة مولعا بالسياسة قام بأداء فريضة الحج وتعرف على العديد من الشخصيات، أصدر صحيفة الإعلام بالقـــاهرة، وزار المعرض الدولي في باريس سنة 1887م. أنظر: الصادق الزمري: **أعلام تونسيون** تق: وتع: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1986م، ص 63– 66.

[4]– الطريقة القادرية: نسبة إلى الشيخ أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلاني الذي ولد سنة 1077م والذي إشـــتهر فـــي علوم الدين والتصوف. أنظر: علي بداوي علي سالمان: **الطريقة القادرية والإستعمار الفرنسي في موريتانيا**، رســـالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإفريقية، إشراف: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2003م، ص 17– 19.

[5] –Hadj Sadok n.le genre **"RIHLA"** .B.E.A.n 40.nou Dec. 1948. PP 195- 206.

[6]– محمد السنوسي: المصدر السابق، ج2، ص 12.

[7]– دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجـــامعي، تـــونس 2003م، ص 294.

لقضاة تونسي وأئمة جامعها "الزيتونية" والمفتين ومطلع الـدراري" شـرح بـه القـانون التونسي وقد طبع، كما زار بيروت فأجتمع بمؤلفي دائرة المعارف البستانية فطلبوا منه أن يكتب لهم تاريخ أمراء الدولة الحسينة بتونس فأملاه وأدرجه بنصه.[1]

وبعد إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس في ماي 1881م فتاقت نفس السنوسي إلـى هجرة البلاد فما كان من الدولة أولا إلا منعه ثم في 18 جمادي الثـاني 1885م تـزعم محمد السنوسي المظاهر الاحتجاجية الكبرى ضد النظام البلدي ووصلها بحركـة جمعيـة "العروة الوثقى"[2]، فألقت السلطات الفرنسية عليه القبض في 11 ماي 1885م وعزلتـه عن وظيفته ونفته مدة ثلاثة أشهر إلى "قابس"[3] [4]، ثم بعد سنتين من دخوله سلك الوظيفة قام محمد السنوسي برحل إلى باريس وذلك فـي04 جويليـة سـنة 1889م، لمشـاهدة المعرض العام الدولي بها وعاد إلى تونس في أوت 1889م، وقد بقي محمـد السنوسـي رغم إضطلاعه بأعيان الوظيف الإداري على نشاطه الفكري إلى أن ابتلي بمرض عضال لازمه سنين.[5]

ب/ مؤلفاته:

"مجمع الدواوين التونسية" لقد إستغرق تأليفه له مدة ما بين سـنة 1287ه/ 1870م وسنة 1292هـ/ 1875م، وهو تأليف ضم عشرين جزء، ولم يطبع منها إلا جزءان هما اللذان خص بهما محمد السنوسي أستاذه محمود قابادوا ونشرهما سنة 1294هـ/ 1877م

---

[1]– محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف: **المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية** مج1، ط1، دار الاندلس الخضراء، 1421هـ/ 2000م، ص 597.

[2]– جمعية العروة الوثقى: صحيفة عربية أصدرها جمال الدين الأفغـاني (1838 – 1897م) والشـيخ محمـد عبـده (1848– 1905م) في باريس. وتعد من أهم الصحف العربية التي صدرت في القرن19م، صدر العـدد الأول منهـا في13مارس 1884م، وكانت تصدر بفضل إعانة من بعض الهنود المسلمين، تصدر بالعربية كانت تخاطب المسـلمين كافة. أنظر: عبد النور خيضر وآخرون: **منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830 إلى 1954م**، منشـورات المركـز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المطبعة الرسمية للبساتين الجزائر، (د. ن)، ص 87.

[3]– قابس: تعتبر جنة الخلد و يقال أنها جنة الدنيا ودمشق الصغرى، وهي مدينة بحرية صحراوية. أنظر: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني: المصدر السابق، ص ص 86– 87.

[4]– محمد السنوسي: المصدر السابق، ج2، ص 13.

[5]– نفسه: ص 16.

و"غرر الفرائد بمحامين الرائد" وهـو تـأليف مفقـود، "درة العـروض" سـنة 1297ه 1880م.[1]

الرحلة الحجازية ما بين سنة 1883 م وسنة 1886م وقسمها إلى ثلاثـة أجـزاء[2] ونجد إضاءات واضحة حول الجوانب الثقافية، حيث عني كاتب الرحلة بما يجري في مكة من نشاط علمي وثقافي وإستوقفه طويلا تتشابه طريقة التدريس في الحـرم المكـي مـع طريقة التدريس في تونس من حيث إلقاء المسألة ثم تطبيقها على الكاتـب[3]، و رحلتـه الإستطلاعية الباريسية وطبع الكتاب سنة 1891م رسالته في المـرأة وعنوانهـا: "تفتـق الأكمام أو دراسة المرأة في الإسلام وهو تأليف نصه العربي مفقود، ديوان شعر حققنـاه وسلمناه قصد النشر إلى مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية بتونس سـنة 1975م.

أما التآليف ذات الصبغة القانونية فهي كتابه "المقاولات العشر" ألفـه سـنة 1878م وهو مفقود ثم كتابه " الروض الزاهر في إسـناد الحـبس للإسـلام الزاهـر" وضـعه سنة1885م و"مطلع الدراري": بتوجيه النظر على القانون العقاري طبـع سـنة1888م، ورسالته "نظام المدينة المفيد لكتاب العصر الجديد وهو تأليف مفقود وفيما يخص التـأليف التاريخية نذكر: "مسامرات الظريف بحسن التعريف" في ثلاثة أجزاء، النبذة التاريخية في منشأ الوزير مصطفى إبن إسماعيل وهو فيها معلم لا يزال مخطوطا 1882م.

خلاصة النازلة التونسية سنة 1885م وقد نشره الصادق بسيس سـنة 1976م أمـا كتب المناقب: "الأجنة الدانية الإقتطاف بمفاخر سلسلة السادات الأشراف" طبع سنة1878م "تحفة الأخيار" طبع سنة 1885م، "المورد المعين" كتبه سنة1891م.[4]

---

[1]–خير الدين الزركلي: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمسـتعربين والمستشـرقين** ج6، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيار– مايو، 2002م، ص 273.

[2]– أنظر (الملحق رقم 02، 03، 04، 05، ص 71– 74).

[3]– إبراهيم بن عبد الله السماري: المرجع السابق، ص 180.

[4]– محمد السنوسي: المصدر السابق، ج2، ص ص 19– 20.

2- أسباب وظروف تأليفه للرحلة

1- أسباب رحلته للحجاز

لئن إتبع محمد السنوسي في تحرير رحلته الإطار الإعتيادي لمثل هذه الرحلات فإنه أمتاز بإقتضابه العنصر الأساسي من ذكر خبر الحج ومناسكه فلم يخص لذلك إلا بعض الصفحات من بين ثلاثة أجزاء مجموع صفحاتها سبع مائة وإحدى وثلاثون صفحة، فإستهل الجزء الأول بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الخاصة بالحج وعقب بحديث عن فوائد السفر، على أن الأمر الذي يلفت نظرنا بشأن هذه الرحلة هو السبب الشخصي الذي حرك همة محمد بن عثمان السنوسي إلى الأسفار فقد قال متحدثا عن نفسه: " هذا والعبد الضعيف المكتفي بالموضوع عن التعريف منذ عقلت فصيلة الإجتماع وأدركت سر الله في التعاون لتجاذب الإنتفاع رغبة تدعوه في كل وقت للسياحة للحصول على النظر على الذي حمد الدين نجاحه"[1]

2- ظروف تأليفه للرحلة:

لم يغفل محمد السنوسي أثناء جولاته في رحلته تفيد ملاحظاته وكامل إنطباعاته ولما عاد إلى تونس جمع تقييداته قصد تحرير كتاب عن رحلته، إلا أن ظروف التحرير لم تخل من عوارض عرقلت سير المؤلف من ذلك حوادث سنة 1885م، التي تزعم أثناء المظاهر الإحتجاجية الأولى من نوعاها في عهد الحماية الفرنسية وقد جر له ذلك النشاط إعتناء السلطة به فتعرض للتفتيش منزله وحجز وثائقه وتقييداته ونفيه إلى مدينة قابس بجنوب البلاد.

ولما تمنعت السلطة من إعادة ما حجزته من وثائق محمد السنوسي وتقييداته توعد المؤلف نائب الحكومة بأنه سيكتب جرا على ورق أنه لم يتمكن من إنهاء جزء من الرحلة الحجازية لأنه وقع حجز تقييدات مسودة الكتاب إلا أن تدخل مساعدا مكنه في نهاية الأمر من إسترجاع تلك التقييدات ومن أجل تحرير الرحلة.

وقد وضع المؤلف هذه الرحلة في ثلاثة أجزاء خصص الجزء الأول للحديث عن إيطاليا والجزء الثاني للحديث عن الأستانة وآسيا الصغرى والحجاز والجزء الثالث لتراجم من تعرف عليهم من أعلام العالم الإسلامي في القرن 19م، وقال محمد السنوسي

[1]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص 26.

بخصوص رسم رحلته بالحجاز"، وبما أن أصل السفر للحجاز كان هو أول غرض فيما عرض نسبت إليه جميع الكتاب إعتبارا لشرف ما إختص به من مزاياه و سمية الرحلة الحجازية.[1]

أما بخصوص الطريقة التي توخاها المؤلف في تصنيفه الرحلة فقد قال ما يلي: " وفرعت طريقة عنراء ولم أرجح مما وقفت عليه طريقة على أخرى ولست أريد بهذا مثلما لما رأيته من الرحلات الصوفية بأغراض مؤلفيها على إختلاف الإعتبارات..."[2]

3-طريق رحلة محمد بن عثمان السنوسي

تقسم أحداث رحلة محمد السنوسي إلى أقسام نذكر منها في أوروبا:

1- في إيطاليا:

وصل بن محمد عثمان السنوسي إلى نابولي[3] في إيطاليا في27 ماي1882م ووصفها بأنها البلد بين سفح جبل فيسوفيو وجزر أسكيا وبروديا وكبريشن وبيكسول بسيلمو ونابولي وكان جمال منظرها من البحر على أحسن ما يكون على شكل نصف دائرة منها جبل فيسوفيو وعلى ميسرتها وصلوا قيل أن بابه غلق في الحرب الأخير على سبعين ألف نفس وهاته الجزيرة متكافئة الأشجار المثمرة متواصلة الأبنية الفائقة، وإتساع طرقها بالإضافة إلى كثرة الكنائس، و إتصال أصوات قرع النواقيس المختلطة بأصوات عجلات النقل والحمل، وقد أعجب بالترامواي ذات الخط الحديدي الذي يخترق البلد، وفي سككها الرئيسية ومن باكرة النهار إلى العاشرة ليل مترددا كل مدة معينة، كما أعجب سوق تولد وأكبر أسواق نابولي وصناعة المرجان المنتشرة بكثرة.[4]

هذا إضافة إلى حضوره بعض الحفلات في المسرح[5] النابولي وقد أضاف في وصفها وقد ركب للسنوسي الطريق الحديد للقطار من نابولي إلى روما إلى وصفها بالجمال والنظافة والاتساع وقال: "من أعاجيب الأبنية بها قنوات الماء فإن منها واحدة

---

[1]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص ص 26- 27.

[2]- نفسه، ص 27.

[3]- أنظر: (الملحق رقم 06، ص75).

[4]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ص ص 85- 86.

[5]- أنظر: (الملحق رقم 07، ص 76).

طولها أربعة وستون ميلا ولها في طريقها سلسلة من القناطر ستة أميال ونصف وإرتفاع بعض قناطيرها مائة قدم.[1]

وفي روما زار كنيسة سان بطرس إحدى أعاجيب البناء البشري وزار السنوسي كذلك مدينة ميناء "قرنة" ليفورن" ووبقي فيها مدة ووصف تجارتها ووصف اليهود والتونسيين هناك ووصف الحياة فيها كما زار مدينة بيزا ووصف معالمها بما فيها البرج المائل التي إشتهرت به أضافة إلى محل إلقاء المواليد المجهولي النسب الذي هو أشبه ما يكون بدار للرعاية الإجتماعية أو ملجأ للأيتام.[2]

2- **في الاستانة:**

لقد سافر إلى القسطنطينية من بلد قرنة بركوب البحر يوم ثلاثين من شعبان سنة 16 جويلية 1882م بمتابعة أمير الأمراء حسين المكلف بالمعارف العمومية بتونس، فكان الركوب في أضخم البوابير البحرية مرورا بقبرص وهي التي فتحها الإسلام ودخلت في حوزة آل عثمان ومرورا ببلدة سينيا المشتهرة بمعامل الحرير وإجتاز بحر اليونان إلى جناح قلعة وقطع بحر الدردنيل حيث شاهد أجمل مناظر القسطنطينية العظمى فكان موقعها أجمل مكان في الدنيا على خليج البحر الأسود حيث دخلها عند الغروب من سادس شهر رمضان المعظم سنة 1299هـ/ فكانت مدة إقامته بها أكثر من شهرين وزار خلالها قبر مسجد إبن أيوب خالد بن زيد الأنصاري وقد تبرك بزيارة مقامه وجامع آيا صوفيا هذا أعظم جوامع دار السلطنة الإسلامية للبناء العجيب وحول المحرب كثير من مصاحف القرآن الثمينة وفيه مجالس كثيرة لدراسة التفسير والحديث والوعظ في رمضان، كما قام بوصف جوامع الأستانة فقال: "إن أعظم أبنية الأستانة في ثلاثة أصناف هي: الجوامع والسرايا والقلاع الحربية ومن العادات المستحسنة في جوامع أن المصلين لا يدخلون أنعلتهم إلى بيت الصلاة.[3]

---

[1]- خير الدين التونسي: **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تق: منصف الشنوفي، ط2، تونس 1972م ص ص 10- 11.

[2]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص 88.

[3]- نفسه: ص 72.

كما وصف المكتبات والمكاتب وقال: أن للأستانة أكثر من أربعين مكتبـة تحـوي نفائس الكتب الخطية وبها مطابع تطبع الكتب وتنشر الصحائف اليومية و الأسبوعية أمـا المكاتب هنالك فقد علمت منها خمسة وتسعون مكتبة تحـت نـاظر المعـارف الـوزير مصطفى باشا وكذلك وصف متحف الإنكشارية الذي أقامته الدولـة ووصـف ومسـارح الأستانة وخاناتها ومتنزهاتها ومساحاتها و إمتدح "السلطان عبد الحميد"[1] بحكمته وتبيـره كما ذكر الخبر عن التونسيين في الأستانة بقوله "بإخفاء أن الوزير التونسي خيـر الـدين باشا بعد إنفصاله من الوزارة التونسية مما لا يستدعى تاريخ البلاد تيسر له تنقل إلى بلـد الخلافة بأمر من السلطان الغازي عبد الحميد الثاني كما عـرج علـى ذكـر التونسـيين المقيمين في الأستانة.[2]

3- في مدينة أزمير:

وصل محمد التونسي إلى أزمير صبيحة يوم الإثنين 13 من 26 ديسـمبر 1882م من الأستانة قطعها بسير البحر مدة 16ساعات، فإذا هي ذات ميناءا أمينة علـى السـفن حيث أن مرساها في خليج داخل في البر بإنعطاف تحيط به "جبال ميماس" مـن الجنـوب و"باغوث" من الشرق وسبيل من الشمال فتمنع عنه الريح حيث وصفها بقوله كانت البلـد جميلة المنظر وهناك المحال التجارية والمتنزهات الصناعية وخان الوزير والقلعة وبعض ديار القناصل والطريق هنالك ملتصقة كما وصف الحياة الإجتماعية بأزمير وفيها مدرسة رشدية وعدة مكاتب للمسلمين والمسيحيين.[3]

---

[1]-عبد الحميد **الثاني**1327 – 1259) (هـ ، (1843 – 1909م). السلطان عبدالحميد الثاني بن السلطان عبدالمجيـد، أحد سلاطين الدولة العثمانية. ولد بإسلامبول (إسطنبول). وتولى السلطة بعد عزل أخيه السلطان مراد الخـامس عـام 1293هـ – 1876م، وكانت الدولة حينذاك على حافة الهاوية، تهددها المخاطر من كل جانب، لاسيما فتن القوميـات التي هددت الدولة بالتفتت، وتفاقم أزمة الديون، وضعف الجيش. أنظر: مذكرات عائشة عثمان أوغلي: **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، تع: صالح سعدي صالح، ط1، دار البشير للتوزيع، عمـان، الأردن، 1311ه/ 1991م، ص 11-14.

[2]– محمد السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص 75.

[3]– نفسه: ص 59– 62.

4- **في مصر:**

لقد بدأ بزيارة بور سعيد ووصفها من أشهر مراسي مصـــر الســـفلي قديمـــة يبعـــد مركزها عن البحر بما دون الميل وإليها تنسب تلك المرسى الشهيرة من مراسي الـــروم، التي تفتح لها خليج السويس المتواصل فيما بينها وبين البحر الأحمر حتى صارت بـــذلك من أكثر المراسي عمرا تختلف إليها القوابير في كل وقت، ووصفها بأنهـــا بلـــدة جميلـــة منظمة التخطيط أبنيتها كلها على النسق الفرنجي في المساكن والأسواق وهي متســـعة لا توجد بها عجلات الكراريس وهناك محلات نواب الدول كلها في غاية الإتساق وجميـــع سكان هذا البلد من الإفرنج.

ومن بور سعيد ذهب إلى الإسماعيلية وقد وصل إليه يوم الأحد 19 مـــن شـــهر ذي الحجة سنة 1299هـــ فإذا هي جميلة المنظر سبب إحاطة الحدائق بها مما يلي البحر إلى السويس ووصفها بانها أعظم مراسي البحر الأحمر عند مبدأها ومن شمالها وكانت البلـــد على هاته المرسى تسمى في العهد القديم القرم، وتسمى الآن السويس.[1]

5- **رحلته إلى الحجاز:**

تعد الرحلة الحجازية للشيخ محمد السنوسي من أبرز الرحلات الحجازيـــة النثريـــة لعلماء تونسيين فقد قام المؤلف سنة 1882م برحلة إلى البقاع المقدسة فإتجـــه أولا إلـــى إيطاليا ومنها إلى إسطنبول فالحجاز ذهابا ومنها إلى دمشق فبيروت وبور سعيد ومالطـــا في طرق العودة[2] وكان قد إرتحل من مصر بحرا بعد رحلات متعـــددة إلـــى أوروبـــا وغيرها من ميناء السويس فقال :" قد سافرنا في البحر الأحمر باكرة فسافرنا فيه أربـــع أيام من السويس على "جدة"[3] و اشتد علينا الحر فإضطررنا إلى خلع الثياب وحيـــث أن الدليل الذي إستصحبناه من "بور سعيد" لقطع الخليج والبحر الأحمر إعتراه الضعف ليلـــة الخميس أصبحنا ضالين عن الطريق وعند وضوح النهار تبين له أننا قد سرنا فـــي غيـــر

---

[1]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص 145.

[2]- لندة الأرقش وآخرون: المرجع السابق، ص 294.

[3]- جدة: تقع على الساحل الغربي من المملكة العربية السعودية تحيط بها من الجهة الشرقية سواحل تهامـــة ومرتفعـــات الحجاز وتحيط بها من الغرب سلاسل من الشعب المرجانية وهي تلقب بعروس البحر الأحمـــر كمـــا أنهـــا عاصـــمة إقتصادية وسياحية. أنظر: شارل ديدييه: **رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مـــيلادي**، تـــر: محمد خير البقاع، دار فيصل الثقافية، 1322هـــ/ 2001م، ص169

الطريق نحو الأربعين ميلا فإضطر إلى الرجوع إلى تلك المسافة إلـى أن النهـار كـان موافقا والهواء مساعد حتى أعانه ذلك على مزيد السير وبلغنا إلى مسامته الرابعـة بعـد الزوال بنحو ساعتين.[1]

وصل السنوسي إلى جدة وهي بلدة من الحجاز في جزيرة العرب على نحو النصف من البحر الأحمر تبعد 65 ميلا من مكة المكرمة وقد إختلف قول المـؤرخين فـي مبـدأ تاريخها ورعم أن إبن بطوطة قال أنها من عمارة الفرس والذي يؤخذ من مجموعة كـلام مؤرخيها أن أرضها كانت تعلوها مياه البحر.[2]

ونشأت فيها التجارة بمقدار كثرة مرور السفن على مرساها ووصـفها ذات سـور حصين تحيط به خنادق و تتخلله أبراج قديمة بها مدافع من النوع القديم ولها تسعة أبواب منها ستة مما يلي البحر وأعمال أهلها صيد السمك والغوص عن المرجان الأسـود، ثـم إنتقل إلى مكة أم القرى ومهبط الوحي ومحل وجود خيـر الوجـود ومظهـر الشـريعة الإسلامية وبها كعبة العرب وموضع إجتماع قبائلهم حيث دخل المسجد الحرام من بـاب السلام ودينا بمنة الله هنالك أحسن المسالك بطواف القدوم ومتتبعاته وقد رأى المتطـوفين يحملون القادمين على المناسك بمقدار معرفتهم لها مع أنه لا تبعد حالتهم عن الجهل، وقد تشرف بالدعوة لحضور غسل داخل الكعبة المشـرفة صـبيحة يـوم الأربعـاء التاسـع والعشرين من ذي القعدة سنة 1299هـ فحضر هنالك الشريف عبد الله وعصمان باشـا والي الحجاز والسيد الشعبي وقاضي مكة السابق والجديد.

وصلى في داخلها على جوانبها الأربعة، فكان من نعم الله عليه أنه قد وصلى إلـى جهات ثمان وفيما يخص النشاط العلمي فقد وجد كثير من العلماء يقرؤون الـدروس مـن الفقه والتوحيد والنحو.

وقد حضر درس مفتيه الشيخ أحمد زيني دحلان وطريقة تدريسـه لا تبعـد عـن الطريقة التونسية وبما يخص السوق التجارية بمكة فقد عرفت رواج كبير، وأثناء إقامتهـا بمكة خرج لزيارة غار حواء وفي اليوم الثامن من ذي الحجة خرج عشية إلى عرفة وأقام اليوم التاسع وجزء من ليلة العاشر فتصفت فريضة الحج بذلك التوقف الأعظم، وبعد ذلك

[1]– محمد بن حسين بن عقيل موسى الشريف: المرجع السابق، ص 597.

[2]– إبن بطوطة: المصدر السابق، ص 207.

زار بعض الأماكن التاريخية، ثم خرج منها متوجها صوب المينة المنورة ووصفها بأنهـا طيبة محل هجرة سيد المرسلين ومسكن الذين أووه ونصروه من الأنصـار والمهـاجرين وأحب البلاد لرب العالمين وبها أشرف بقاع الأرض بمضجع سيد الأولـين و الآخـرين عليه أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين دخلها آخر ليلة الخميس الرابـع مـن محرم ونزل في منزل العالم المحدث الشيخ علي الوتري وأدرك صلاة الصبح بالمسـجد النبوي حيث وصف أعظم المواكب في المدينة المنورة يوم قدوم المحمل الشريف صحبة الركب الشامي الذي يخرج فيه جميع الموظفين والرؤساء والأعيان والعامة إلى ظـاهرة المدينة لتلقي الحمل الشريف.[1]

وكذلك وصف الركب الشامي الذي تتكون حراسته من 400 عسكري و 100 جندي جندرمة و500 طوبجي ومعهم مدفعين وبوسطجي وإمام وطبيب وكان يحوي في المسـم الذي حج فيه السنوسي بصحبته ألفي جمل و خمسة آلاف حاج بجميع حاجياتهم وللموكب عادات متبعة في الرحيل والتوقف والأذان للصلاة والهيئة المسـيرة لمعرفـة المتخلفـين وإحضار الساقط من المتاع ونحو ذلك، إبتداءا من المدينة إلى أن بلغ الموكـب الشـامي مشارف دمشق.[2]

ووجد الحرم المكي فيه الكثير من العلماء يقرؤون الدروس من الفقه والتوحيد والنحو ومن المبتدئين من يقرأ مناسك الحج ووجد مفتي مكة يومئـذ وشـيخ شـيوخها العلامـة المحصل الشيخ أحمد دحلان ويحضر الدرس كبار العلماء، وفي أثناء إقامته في مكة وردة الأخبار تؤذن بقدوم الشريف عون الرفيق من الأستانة متوليا إمار مكة التي تلقاها أخـوه عبد الله قبله على ما سيأتي تفضيله ورجع للحج صبيحة العيد الأكبر وتمت جميع المناسك وكانت هناك جموع الوافدين في فخر الخيام لابسين جميل اللبـاس بعـد فـك الإحـرام مظهرين للمسيرة بما تفضل عليهم به رب الانام.[3]

وكان أعظم المواكب في منن موكب جلوس شريف مكة لقبـول تحيـة العبـد مـن الخاصة والعامة بملابسه الرسمية والطبول العربية، وحوله مواقف المتوظفين وأصـحاب

---

[1]– لبيب البتوني: المرجع السابق: ص 47.

[2]– نفسه: ص 49.

[3]– عواطف يوسف محمد النواب: المرجع السابق، ص 61.

الرتب ومجلس لجلوس الأشراف والعلماء وبعد تقديم التهيئة وتقبيل يده الشـريفة أمرنـي بالجلوس هناك فجلست برهة دخل فيها الواردون على اختلاف طبقاتهم و خرجت لزيـارة ضاحية الشريف عبد الله وغيره من الأشراف وهنا لا بأس بقول وجيز على تلك الإمارة.

وقد إنتهز الفرصة لتحلية شعر في مدح شريف مكة فاستأذنت عليه وعـين ليوقـت التشريف زرته في مجلسه الخاصة فوقف وأجلسني إلى جانبيـه و قبـل منـي الهنـاء والإفصاح عما وجدت عليه أهل مكة من السرور بعود الإمارة إلى فرعهم الطـاهر ثـم استأذنته في سرد ما سمح به الحاضر في تهنئته.

كما هنئ جميع أدباء الحجاز بالقصائد الفائقة وجمع هذا الأمير أدباء مجلسه للنظـر في جميع قصائده تهانية وجعلوا لها مراتب على عادة اعتناء عرب الحجاز بمقام الشـعر وقد وقفت على كثير من تلك القصائد وبقي معي بعضها ثبتها هنا أعلاه لذكر آل البيت.

6- في بلاد الشام:

تعد أكبر مدينة في قسمي سوريا و فلسطين تسمى دمشق وجيرون وجلق والفيجـا والشام وأصلهم من الشام من آل جفنة فأتخذهم ملوك الروم عمالا على عرب الشام.[1]

وبعد ما جاء "معاوية بن أبي سفيان"[2] جعل دمشق دار ملك لخلافة الإسلام حيـث دخلها بمنة الله صلاة العصر بأخذ المساجد بدمشق المباركة و رأى من لطف أهلها وكرم نفوسهم وحضارتهم ما كدت أن أتعجب منه لولا أنى على يقين من أنهم أهل بلد كانت دار ملك لخلافة الإسلام.[3]

حيث قام بزيارة الجامع الأموي هذا من أعظم جوامع بلاد الإسلام كما زار مقبـرة باب الصغير التي حوت قبور ثلاث من زوجات رسول الله عليه الصلاة والسـلام وعنـد دخول المقبرة المذكورة أ على ثلاث قبور نسبوا أحدهم للسيدة حفصة والثـاني للسـيدة أم سلمة والثالث للسيدة أم حبيبة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن كما زار قبر الإمام مالـك صاحب الألفية النحوية كما زار مقام الشيخ عبد الغني النابلي العالم الشافعي وزار كـذلك

---

[1]- عواطف يوسف محمد النواب: المرجع السابق، ص 64.

[2]- معاوية إبن أبي سفيان:(661- 680م) أول خلفاء الدولة الأموية وصارت الخلافة على جميع الأقاليم بدون مشارك أو منازع ودامت الخلافة في عائلته إلى سنة 132ه، ثم إنتقلت إلى بني عباس. أنظر: محمد فريد بيك المحامي: **تـاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي،ط1، دار النفائس، بيروت، 1401هـ- 1981م، ص 31.

[3]- محمد السنوسي: المصدر السابق: ج2، ص 400.

أسواق دمشق وخاناته ومقاميها أما المدارس فمنها ما يخص الذكور المسلمين وهي خمسة وسبعون مدرسة ومنها ما يختص البنات المسلمات وهي ثلاثـون مدرسـة وقـد أقامـت الحكومة بها أربعة مدارس رشدية ومكتبا حربيا إستعدادي وإستحسن عادة علمائهـا فـي احتساب الأجر عند الله في التدريس والتقى بالعديد منهم.

7- في بيروت:

إحدى مددن فينيقيا على الجانب الشمالي الشرقي من لسان يعرف لـرأس بيـروت ببحر الروم، و آثارها القديمة تدل على أهميتها وعند ظهور الإسلام فتحها أولا يزيد بـن أبن سفيان سنة 13ه ثم غلب عليها الروم ففتحها "معاوية بن أبي سفيان" و إستمرت تحت خلافة الإسلام وعند دخوله بيروت زار مطبعة ثمـرات الفنـون و إجتمعـت بصـاحب إمتيازها السيد عبد القادر الفنائي ومنشئها الشيخ إبـراهيم الأحـدب كمـا زار المطبعـة الأمريكانية حيث إطلع على جميع طرق نشر المعارف العربية كما حظيا بمشاهدة العـالم الفاضل والأديب الكاتب الشاعر سبيل بيت العلم والصاح الشيخ محمد أفنـدي السنوسـي محرر الرائد التونسي وزار الكثير من معالمها ووقف على مدى العناية باللغـة العربيـة والأدب وحضر محمد السنوسي حفل المولد النبوي بجامع سيد ناجي ببيروت.

8- **في مالطة:** هي جزيرة من جور البحر طولها عشرون ميلا وعرضـها إثنـي عشر ميلا ودورتها ستون ميلا وقاعدتها بالله تسمى المدينة وبقيت هذه الجزيرة للمسـلمين مدة مائتي سنة وتسمى بإسم مالطة ولا أرى هذا الإسـم إلا تعريبـا لا سـمها الفينيقـي السابق.[1]

حيث أقام بمدينة مالطة ثلاثة أيام في إنتظار نوبة البريد البحري إلى تونس وجلـت في طرقاتها ومنتزهاتها البرية والبحرية ووصفها بأنها جميلـة المنظـر حسـنة التقسـيم ومرساها من أتقن المراسي فينزل فيه الراكب على الرصيف المنضد وتوجد بها المخازن الكبيرة المعدة لأحسن المبيعات وبها حمام "ويتاترو" وعدة حدائق وأكثر تنـزههم بـالبحر الزوارق الصغيرة سيما في ليالي القمر، أما أهلها فهم كرماء وفيها من حسن المواصلات

[1]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ج2، ص 402.

التجارية ما إقتضاه وكان الركوب من مالطة بعد زوال يوم السبت الرابع والعشري من ربيع الأول ودخلت تونس يوم الإثنين السادس والعشرين من ربيع الأول سنة 1300ه.[1]

4- مميزات رحلة محمد السنوسي

تميزت رحلة محمد السنوسي بالتوسع في الحديث عن بلاد الحجاز وصفا ومدحا لأنها الهدف من الرحلة والقصد من الخروج أساسا، كما نجد إضاءات واضحة حول الجوانب الثقافية حيث عني كاتب الرحلة بما جرى في مكة من نشاط علمي وثقافي وإستوقفته طويلا تشابه طريقة التدريس في الحرام المكي مع طريقة التدريس في تونس من حيث إلقاء المسألة ثم تطبيقها على الكتاب.

كما نبه السنوسي إلى الثقافة اللغوية عند أهل مكة ذاكرا أن شجون الحديث تدعوه إلى ذكر ما رأى عليه علماء الحجاز من عنايتهم بعدة لغات أكثرها عندهم اللسان التركي الذي هو لسان الدولة العلية، واللسان الفارسي لكمال إمتزاجه باللسان التركي، واللسان الهندي لكثرة الوافدين من الهند واللسان الجبشي ولسان أهل جاوة، وهاته الألسن زيادة اللسان العربي الأصلي في جزيرة العرب.[2]

كما تميزت رحلة السنوسي بطرح مسائل فقهية وأخلاقية مهمة مما صادفه أثناء تجواله في أوروبا وتركيا أو الحجاز ففي أثناء زيارته لأوروبا ورؤيته لمحل إلقاء المواليد في مدينة بيزة الإيطالية، تناول مسائل فقهية أخلاقية تتعلق بالإجهاض.

وتعجب من أن العلماء في الحجاز "يقرئون العلوم الدينية والآلية إحتسابا، وليس لواحد منهم معاش عن ذلك من أموال بيت المسلمين ولا من أداة الأوقاف ، بحيث أنه لا جباية على التدريس للمدراس أصلا مع أن ضعف العلماء لا محالة مستحق من بيت المال.

كذلك طرح التساؤل حول التمثيلات المسرحية التي تعرض فوق المسرح والتي حضر بنفسه بعضها في إيطاليا، أو دمشق أو إسطنبول، إضافة إلى ما يتعلق بطعام أهل الكتاب من الإفرنج وزكاتهم وهي مسألة شغلت بال الرحالة المسلمين إلى غير بلدان الإسلام، كما تناول السنوسي في رحلته حكم لباس المسلم البيزنطية (القبعة الأوربية)

---

[1]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ج2، ص 403- 406.

[2]- إبراهيم بن عبد الله السماري: المرجع السابق، ص ص 199- 180.

والتي حكم الفقهاء بردة لا سيما لخروجه على معهود المسلمين في اللباس وتغطية الرأس بالعمائم وقد دافع عن رأيه في تحريم الدخان.[1]

كما تميزت رحلة الشيخ محمد السنوسي بالمقارنة بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي المسحي، مؤمنا أن لكل منها خصائص ومبادئ وأن يستنكر هنا ويستغرب ويصبح عاديا هنا مستحسنا إلا أنه كان دائم الحمد الله على فضائل الإسلام وأخلاق المسلمين.[2]

كما أن المؤلف يرى أن للسياحة مزايا عديدة لا تحصى كما أن قضية تحول العلوم من شعب إلى آخر وخاصة إقتباس الأوربيين من العرب هي مسألة إنتبه إليها محمد السنوسي ومما يدل على ذلك ملاحظاته عندما زار معرض التشريح بالمكتب الطبي في مدينة بيزة.[3]

ولما كانت مسألة النسب محور إهتمام متداول في جميع البلدان الإسلامية لأنه يعد من الطبيعي أن محمد السنوسي يحاول معرفة إلى أي حد كان الأوروبيون يشاطرون هذا الرأي مع الحال المنتشرة عندهم، وكان ما إكتشفه المؤلف من تراتيب العلمية والنقود قد جعله يقيم مقارنه بالوضع الذي كانت عليه أمور العملة بالبلاد التونسية، وقد بدأ الشيخ محمد السنوسي رحلته بذكر مقدمة مستفضية عن السفر وفوائده في تحصيل المعارف واكتشاف الأصقع والأطلال على الإختراعات كالميكروسكوب والعدسات المكبرة للعيون والتبشير بالديانات.[4]

لقد وقف محمد السنوسي من عوائد البلدان التي زارها موقفا إتسم بالنزاهة والتجرد من الأغراض فرأى من كل أمة أسباب نفعها وضرها، وإختار لنفسه ما حلا وصح عنده أن توسعه ظرف المكان بالسفر بمثابة طول الحياة المستفادة من سعة ظروف الزمان وقال بخصوص ما إستحسنه وإستقبحه من عوائد الجهات التي زارها: " قد أستفدت أن كل عادة صالحة بأهلها لا يسوغ لغيرهم إنكارها لأني رأيت من الترك والهنود والأفغانيين وأهل

---

[1]– محمد الصادق بسيس: **الشيخ محمد السنوسي حياته وآثار**، الدراسة التونسية، للنشر والتوزيع تونس، 1978 ص172

[2]– محمد السنوسي: المصدر السابق،ج2، ص 11.

[3]– نفسه، ص 31.

[4]– نفسه: ص 35.

جاوة والمغاربة والأوروبيين من تباين العوائد ما نكرته عادتي أولا وبالمخالطـــة مـــوت إستحسن ما أنكرته أولا والإنسان إبن عادته لا ينبغي له إنكار عادة غيره بعادته المفكـــرة عند غيره.

ويرى أن للسياحة مزايا عديدة لا تعد ولا تحصى وفي مقدمتها العيارن الذي يغلـــب الخبر وفي هذا الصدد قال: " لكن قد تبين في الخارج مـــا أوضـــح لنـــا محكمـــة طلـــب خصوص المسير حيث أن السياحيين في هاته العصور إختلطوا بأصناف الأمم، وشاهدوا أحوالهم وأثارهم وإكتشفوا كثيرا من أغلاط التواريخ فكان المسير قيد للحقائق لأنه تحصل به الشاهدة للحالة الحاضرة ثم في الأشياء الماضية تحصل مشاهدة الأثـــار الدالـــة علـــى الأصول.

ثم أن قضية تحول العلوم من شعب إلى أخرى وخاصة إقتبـــاس الأوروبيـــين مـــن العرب هي مسألة إنتبه إليها محمد السنوسي ومما يدل على ذلك ملاحظاتـــه عنـــدما زار معرض التشريح بالمكتب الطبي في مدينة بيزة، ولما كانت مسألة النسب محـــور إهتمـــام متداول في جميع البلدان الإسلامية فإنه يعد من الطبيعي أن محمد السنوسي يحاول معرفة إلى أي حد كان الأوروبيون يشاطرون هذا الرأي مع الحال المنتشرة عندهم كمـــا يقـــول المؤلف في أنسابهم رغم كونهم تعودوا بما يميت الغير وكثرة البغايا وإنتشار أبناء الطبيعة فيما بينهم وقد وصف محمد السنوسي في دهشة لم يخفها ما علمه بخصوص تحفظ الأمـــة الإيطالية على شرف عائلة ملكهم فقال: "ومع الحال المنتشرة عند الأوروبيين في أنســـابهم رأيت عجبا في خصوص تحفظ الأمة الإيطالية على شرف عائلة ملكهم التي مضت عليها مئات السنين في الإستيلاء على إيطاليا".[1]

وكان ما إكتشفه المؤلف من تراتب العملة والنقود قد جعله يقيم مقارنة بالوضع الذي كانت عليه أمور العملة بالبلاد التونسية عصر إذن فمدح التراتيب القاضية بصيانة النقود من الغش وفي الصدد يقول:" ولقد أخذت معي في هذا السفر عـــددا مـــن نقـــود الفضـــة والفرنكات فلما صدرت لنابلي و رأيت أوراق المعاملة الخفيفة الحمل المقبولة في جميـــع الأسواق وبقيمتها أردت إستبدال الفضة بالأوراق فلم يمكن ذلك إلا بإعطاء صرف قـــدره إثنان في المئة، أما الذهب فأنه والأوراق سواء تستبدل أيهما تشاء بقيمته من الآخر مـــن

[1]– محمد السنوسي: المصدر السابق،ج2، ص 37.

غير صر وأين هذا من تجارة الدولة في غش النقود لتحصل على ربح يضيع بسببه على الأهالي في كل يوم أضعافه المضاعفة.

بدأ الشيخ محمد السنوسي في رحلته بذكر مقدمة مستفيضة عن السفر وفوائده في تحصيل المعارف وإكتشاف الأسقاع والإطلاع على الإختراعات كالميكروسكوب والعدسات المكبرة للعيون والتبشير بالديانات.[1]

1- **العودة إلى تونس:**

وبعد عودته إلى تونس إستأنف محمد السنوسي نشاطه في جمعية الأوقاف، وإنخرط في عمله مع أهل الرأي والفكر الذين قيدت حركاتهم بعد إنتصاب الحماية الفرنسية التي رسخت أقدامها في البلاد، وكان السنوسي يطالع بإهتمام مجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها في باريس "جمال الدين الأفغاني"[2]

و"محمد عبدوا"[3] وكان هناك مراسلات بين السنوسي ومحمد عبدوه.

ويبدو أن السنوسي كان من مؤسسي الفرع التونسي للجمعية السرية الإسلامية التي كانت تسمى جمعية العروة الوثقى وقد زاره محمد عبدو في تونس وإستقبل هناك إستقبالا حسنا من قبل الحكومة وكبار رجالها و علمائها وأقيم له عدد من الإحتفالات، وكانت إقامته مناسبة لمحادثات ومناقشات في كثير من أمور الدين والحياة والتطلع إلى النهوض والتقدم، و يمكن عده من رجال الإصلاح في العالم العربي و إن لم يقم بدور بارز مثل ما

---

[1]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ص 37.

[2]- جمال الدين الأفغاني: (1838- 1897م) هو محمد بن صفدر الحسيني جمال الدين ولد بأفغانستان وهو مفكر وإسلامي كان يجيد عدة لغات وكانت له عدة رحلات، ساهم في إحياء حضارة الشرق من مؤسسي جريدة العروة الوثقى رفقة محمد عبدوا. أنظر: عبد الوهاب الكيالي: **موسوعة السياسة**، ج5، دار الهدى المؤسسة العربية للدراسات والنش، بيروت، (د. ت)، ص ص 231- 232

[3]- محمد عبدوا: (1849م- 1266هـ) أبرز المجدّدين في الفقه الإسلامي من دعاة الإصلاح، شارك في إيقاظ وعي الأمة ، وإحياء الاجتهاد الفقهي ويعتبر حجة الإسلام، ولقد كان الشيخ جامعا للعلم والعمل فلا نجد ما يساوي فضله وبلاغته وسعة أفكاره، وقوة ملكته في الفلسفة سوى علو مبادئه. أنظر: عبد الكريم بوصفصاف: **الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2005م ص 17.

فعله "خير الدين التونسي"[1] أو الأفغاني أو محمد عبدو ولا يمكن إغفال تأثيره بإعتباره داعية ماهرا إذ ذاع تصورات عصره المتعلقة بيقظة الإسلام وساعد على تنبيه المسلمين وإيقاظهم من غفلتهم والسعي إلى التحرر من الهيمنة الغربية و إعتمد في أفكاره على المقالات التي كانت تنشرها له جريدة الرائد مستندا إلى الدقة و المنطق في الإقناع.

2- **وفاته:**

تم تعرض الشيخ محمد السنوسي لمرض عضال وأمره الطبيب بترك الحركة الفكرية والبدنية من أجل إحتباس النفس من ضعف أعصاب القلب ولم يشفى منه حتى وافته المنية في ليلة السبت في 24 رجب 1318هـ/ 17 نوفمبر 1900م وكان موكب جنازته و دفنه في 25 رجب 1318هـ/ 18نوفمبر 1900م رحمة الله على شيخنا رحمتا واسعة وأسكنه فسيح جناته.[2]

وفي خلاصة فصلنا هذا يتبين لنا أن المطلع على هذه الرحلات الحجازية يتبين مدى تعلق المغاربة وإتصالهم بالمشرق العربي، ذلك إن التعاليم الدينية كانت تحت إلحاح على الاتصال بالعلماء وإغتنام تواجد العلماء المسلمين من مختلف الأنحاء في وقت واحد وفي مكان واحد، هذا ولم يكن للمشرق العربي جاذبية روحية ودينية فقط وإنما كانت له أيضا جاذبية علمية فالكثير من المغاربية كانوا يخيرون للقيام برحلة علمية للمشرق العربي لفضل طلب العلم ولتفادي الأخطار والمشاق التي تنجر عن الحج.

---

[1]- خير الدين التونسي: هو وزير ومؤرخ من رجال الإصلاح الإسلامي قدم صغيرا إلى تونس فإتصل بأصحابه كالباي أحمد، تعلم بعض اللغات وتقلد مناصب عليا كان آخرها الوزارة وبصمعته أعلن دستور المملكة التونسية سنة 1284هـ/ 1864م لكنه ظل حبرا على ورق. أنظر: سمير أبو حمدان: **خير الدين التونسي** (د. ط)، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 1412هـ/ 1992م، ص 11

[2]- محمد السنوسي: المصدر السابق،ج1، ص 13- 14.

الفصل الثاني: رحلة أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي- وأثر الرحالين على البيئة الحجازية خلال القرن 19

1- أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي
2- رحلة أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي إلى الحجاز 1863م
3- الأثر الديني والعلمي للمغاربة على البيئة الحجازية
4- الأثر لإجتماعي والإقتصادي للمغاربة على البيئة الحجازية

الرحلة تعتبر صادقة في أغلب الأحيان عما شاهده الرحالة أو ذكره من حوادث ومشاهد وصور، عامة فالرحال يغلب عليه معرفة كل ما يتعلق بالبلاد التي زارها بما يتفق وإهتماماته، فهو يراها بعيون أخرى غير عيون أبنائها الذين يعيشون فيها وفي الغالب تكون آراء الرحالين محايدة، لقد قام أبناء ليبيا بعدة رحلات إلى البلدان الأخرى وقاموا بتدوين مشاهداتهم أو كتبوا خطوات سيرهم وقد يخيل للقارئ أو السامع في البداية عدم وجود كتب متخصصة في الرحلات التي قام بها علماء أو رحالون من ليبيا إلى البلدان الأخرى، ولكن الواقع يؤكد غير ذلك ونذكر من هذه الرحلات رحلة الشيخ أبن عبد الله محمد المسعودي الصيدي إلى الحجاز، وكان للحج أثر كبير في التواصل الثقافي بين علماء الحجاز والعلماء المغاربة.

رحلة الشيخ أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي 1799م/ 1871م المسماة بتحفة الزوار قام بها سنة 1863م.

1- أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي

أ/ مولده ونسبه:

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد المسعودي بن التواتي بن محمد المسعودي بن "محمد الصيدي"، ينتهي نسبه إلى الولي الصالح سيدي "محمد الصيد"[1]، ومنه إلى الولي الصالح سيدي عبد السلام بن مشيش في المغرب.

ولد الشيخ محمد المسعودي الصيدي "بالهنشير" سنة1799م في مدينة طرابلس وهو من علماء ليبيا الأجلاء[2]، تلقى علمه بطرابلس قال الأستاذ أحمد النائب: " أن بيته بيت علم وبركة وصلاح من أسلافه الكرام"، ثم التحق "بالأزهر الشريف"[3] تربي في كنف والد إلى أن بلغ من العمر سبع سنوات وبعد وفات والد حضنته جدته لأمه السيدة

---

[1]- محمد الصيد: تعني لفظ الصيد في اللغة الطرابلسية الأسد وقد لقب به الشيخ محمد الصيد الذي هو من أشهر رجال طرابلس المشهورين بالصلح والتصوف، ويعود أصله إلى أولاد رقيعة وخدم في الحكومة بالطائف ثم إعتزل وإهتم بالزهد والعبادة وتوفي سنة 1050هـ عليه رحمة الله. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، ط3، دار المدار الإسلامي 2003م، ص ص 379- 380.

[2]- الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص 364.

[3]- الأزهر الشريف: من أهم المساجد في مصر العالم الإسلامي وهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف سنة، وقد أنشئ على يد جوهر الصقلي، بأمر من المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر. أنظر: محمد عبد الله عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، طبعة ثانية 1958، ص 143

الزهراء بينت السيد "أحمد بن حامد الصيدي" إلى أن توفيت وهو آنذاك إبن إثني عشـــرة سنة.[1]

حفظ القرآن الكريم على يد أستاذه ومربيه العالم سي محمد بن علي بن عبد النـــور، كما تلقى عنه بعض العلوم الأخرى، ولازم الشيخ محد المسعودي خدمة شيخه المـــذكور سنوات وكان شيخه قد أخذ العلوم عن عمه الأستاذ "إبن إسحاق إبراهيم بن عبد النـــور"، وأصله من رليطن درس في الأزهر الشريف ولما عاد إلى وطنه ســـكن فـــي الهنشـــير والشيخ إبراهيم أخذ عن عدة شيوخ من مصر كان من بينهم الأستاذ الكبير والعالم الشهير "علي الصعيدي المالكي".[2]

ب/ تحصيله العلمي:

بعد حفظه للقرآن الكريم إنكب على دراسة العلوم ومنها التفسير والحـــديث والفقـــه وسائر العلوم الأخرى التي كانت سائدة في بيئته آنذلك وكل ذلك على يد شيخ وطنه، وقد ذكر الشيخ محمد زغوان أن الشيخ محمد المسعودي كان من أجل وأعظم علماء طرابلس وهو نادرة عصره وفريد دهره في الحفظ والنقل الصحيح خصوصا فـــي علـــم الحـــديث والنقل الصحيح والفقه، وقد إنتفع به خلق كثير وشدت إليه في وقتـــه الرحـــال مـــن كـــل الجهات ليأخذوا عنه العلم والفتوى ورواية الحديث، وإشتهر بذلك في سائر البلاد وشوهد له بالفضل والتقدم والفتوى أهل الفضل وأهل الانتقاد.[3]

رحلة أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي إلى الحجاز 1863م "المسماة بتحفـــة الزوار"

لقد رحل إلى مصر وجاور بالأزهر الشريف وترك مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث والتصوف جلها لا يزال مخطوطا، من بينها هذه الرحلة الحجازية التـــي ســـماها "تحفـــة الزوار"[4] التي صاغها في منظومة طويلة من مائة وعشرين بيتا من بحر الرجز.

---

[1]– الحاج صادوق: **الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع عشر ميلادي وآثارها على البيئـــة الحجازيـــة**، إشراف الدكتور: مختار حساني، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، الســـنة الجامعيـــة 2011/ 2012م، ص 124.

[2]– نفسه، ص 125.

[3]– الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص 371.

[4]– أنظر: (الملحق رقم 08، ص 77).

إقتصر فيها على زيارة المدينة المنورة وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم والآداب المتعلقة بذلك، له شرح طويل عليها سماه "مواهب الغفار على تحفة الزوار" تضمن الشرح في البداية التعريف بأصوله المغربية وتاريخ قدوم أسترته إلى ليبيا وسبب تسميته جدهم بالصيد والشرح ملئ بالأحاديث والآثار والرقائق والمواعظ وآداب زيارته للمدينة المنورة إلى جانب الكرامات وقد تضمن الشرح نقولا كثير عن العلماء والزهاد والشعراء. [1]

1- رحلته إلى تونس 1848م:

كانت رحلة بحرية وكان الغرض منها الحصول على السند العلمي في الطريقة العيساوية من شيخ الطريقة في تونس، على قاسم شريف وقد شملت هذه الرحلة جربة وصفاقس وتونس وقد كانت مختصرة جدا، وقد حققت نصها مع التقديم لها ونشرت في الرفقة العدد 13 بتاريخ 2005م.[2]

2- طريقته الصوفية[3]:

إشتهر الشيخ محمد المسعودي بالتصوف إلى جانب معرفته لعلوم الفقه والحديث وغيرها وتذكر المصادر أنه أخذ الطريقة العيساوية وعمره خمسة وعشرين سنة أخذها عن أحد المتقدمين في هذه الطريقة داخل المدينة وإستمر معه في تلاوة أوردها إلى أن شاهد أثناء الإحتفال بالمواد النبوي الشريف إذ أن بعض المنتسبين للطريقة يقومون بضرب الدفوف وأكل المسامير وضرب السكاكين فأنكر الشيخ محمد المسعودي الصيدي على تلك الأفعال قال: "إن الطريقة هي الكتاب والسنة والطريقة التي تخرج عن الكتاب والسنة ليست بطريقة وسلم إلى مقدمها سبحته وأورده و إنسلخ منها".[4]

---

[1]- زريقي جمعة محمود: **تراجم ليبية**، ط1، دار المدار الإسلامي، طرابلس، 2005م، ص 511- 532.

[2]- نفسه، ص 510.

[3]- الطريقة الصوفية: إن التصوف الحقيقي هو الذي تتوفر فيه شروط أساسية منها معرفة الكتاب والسنة ومعرفة حقيقة العلم بهما والجمع بين العلم والعمل والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والنظر والتفكير في مخلوقاته بالإضافة إلى التقى والورع والتجرد عن هوى النفس وحب الدين والابتعاد عن مغريات السياسة و السلطة وعدم التعاون مع الظلمة و المتجبرين. أنظر: أبو القاسم سعد الله : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، ص 109.

[4]- رزيقي جمعة محمود: المرجع السابق، ص 533.

يدل هذا الموقف على قوة شخصية إنحيازه إلى آراء بعض الفقهاء الذين يذكرون الأشياء ولا يسلمون بها، فهؤلاء يرون أن هذه الأفعال بعيدة عن عبادة الله كما أنها لا تدل على التصوف الحقيقي الذي هو التقرب إلى الله.[1]

3- نضاله وجهاده في نصرة الحق:

إن ما ورد في سيرته الصوفية يدل على أنه صاحب شخصية فهو لم يسلم بما كان يعتقده من الأفعال التي يقوم بها بعض المتصوفة التي لا تدخل ضمن الطريقة الصوفية، وكان يحاول جاهدا الوصول إلى الحقيقة وكلف نفسه عناء السفر برا وبحرا معرضا نفسه للمخاطر ليصل إلى يقين بصحة ما يقوم به أو عدمه، وقوة شخصيته لم يقتصر على التصوف بل صاحبت حياته اليومية داخل المجتمع الذي يعيش فيه وقد صاحب هذه الشخصية المبادئ الصوفية التي يؤمن بها وعلى رأسها توحيد الخالق، وعدم الخضوع لغيره تعالى، وقول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذه المبادئ هي التي جعلت للتصوف دورا في تنمية الشعور بالمسؤولية العامة في المجتمعات الإسلامية وهي التي جعلت منه مجاهد في سبيلها.[2]

ومن آثاره العلمية مع أن حياته كانت حافلة بالأحداث الجسام والرحلة والتغريب والصراع الذي عاناه مع بعض منتسبي الطريقة إلا أن ذلك لم يمنعه من المشاركة في نشر العلوم بتأليف بعض الكتب التي لم تطبع بعد، وهي نثر ونظم وشروح في علوم مختلفة وهي لم ترد في المصادر التي ترجمت له.

4- وفاته شهيدا:

إن حياة المسعودي لم تكن عادية فهو من كبار المصلحين الذين أنجبتهم ليبيا، وبسبب مواقفه في نصرة المظلوم والوقوف في وجه الظالمين من حكام تلك العهود ناله الكثير من الظلم وصل في بعض الأحيان إلى إبعاده عن طرابلس إلى مناطق أخرى داخل وخارج ليبيا[3] نذكر منها نفيه إلى الجبل الغربي مرة وأخرى إلى دار الخلافة الأستانة حيث مكث فيها ما يقارب سنة، إلا أنه لم يضيع وقته فقد كان علمه وتصوفه معه أينما حل وإرتحل ففي دار الخلافة أنكبت عليه الأفاضل وأخذوا عنه العلم والحديث والإجازة

---

[1]- رزيقي جمعة محمود: المرجع السابق، ص 533.

[2]- الحاج صادوق: المرجع السابق، ص ص 126- 127.

[3]- نفسه: ص 127.

في الطريقة الجزولية العيساوية، والإذن في قراءة دلائل الخيرات، وكان يعود في كل مرة إلى طرابلس معززا مكرما إلا أن الأمر لم يقف عند حد النفي إذ تعرض إلى إطلاق النار عليه بالبارود قبيل فجر ليلة الثلاثاء 14 ديسمبر 1871م، وفارقت روحه المقدسة جسده بعد صلاة العصر من اليوم المذكور ودفن بضريح جده الشيخ الصيد بقرية هنشير شرقي طرابلس ولم تذكر المصادر من فعل ذلك، ولكنه من دون شك من أهل الظلم والفساد الذين حاربهم لينال الشهادة مقابل جهاده في قوله الحق ونصرته المظلوم والوقوف في وجه الظالمين.[1]

2- الأثر الديني والعلمي للمغاربة على البيئة الحجازية

1- الأثر الديني:

لقد كان الحج أهم وأعظم مؤسسة قدمها الإسلام إلى المسلمين أينما كانوا وحيثما كانوا، أعظم بما يشتمل عليه من تنوع زاد كان الحج أبرز رسالة موجهة إلينا لعرفة الآخر ولإكتشاف الآخرين ولحوار الحضارات مهما كتب الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فإنهم لن يصلوا إلى إستجلاء جميع جوانب هذه المؤسسة الحضارية الكبرى.

فمن المظاهر الدينية والتاريخية نجد معظم الرحالين يقمون بأداء مناسك الحج والعمرة و زيارة المسجد النبوي والأماكن المقدسة، وبعضهم تحدثوا عن المذاهب الدينية كإبن جبير في حلته وإبن خلدون في كتابه العبر، وهناك عدد من الرحالين تعمقوا في تاريخ الحرميين الشريفين بالإضافة إلى ذلك تاريخ الحجاز. [2]

---

[1]- الحاج صادوق: المرجع السابق، ص ص 127- 128.

[2]- يفيم ريزفان: **الحج قبل مائة سنة**، ط2، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، لبنان، 1993م، ص 15.

تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعا لتعدد المذاهب في ذلك الوقت حيث كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة إمام ومكان خاص "للإمامة"[1] وقد ذكر إبن جبير في رحلتـــه عـــدد الأئمة في الحرم حيث يقول: " وللحرم أربعة سنية وإمام خامس لفرقة تسمى "الزيدية"[2]".

وقد بين إبن جبير طريقة الصلاة للأئمة في وقت واحد يقول: " إلا الصلاة المغـــرب فإن الأئمة الأربعة يصلونها في مكان واحد مجتمعين لضيق وقتها" يبدأ مـــؤذن الشـــافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنوا سائر الأئمة وربما دخل في هذه الصلاة علـــى المصـــلين ســـهو وغفلة لإجتماع التكبير فيها من كل جهة فربما ركع المالكي بركوع الشافعي والحنفـــي أو سلم أحدهم بغير سلام إمامة فترى كل أذن مصيغة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس.

وقد حدد إبن جبير مكان الصلاة للأئمة الأربعة في الحرم حيث يقول المالكي وهـــو يصلي قبالة الركن اليماني وله محراب حجر يشبه محارب الطـــرق الموضـــوعة فيهـــا والحنفي رحمه الله وصلاته قبله الميزاب تحت حطيم مصنوع له وهو أعظم الأئمة أبهمـــة وأفخرهم وآلة من المشمع وسواها بسبب أن الدولة الأعجمية كلها على مذهبها فالإحتفال له كثير وصلاته أكثر، ثم الحنبلي رحمه الله وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحـــد موضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ويصلي الظهر والعصر قريبـــا من الحنفي في البلاط والأخذ من الغرب الشمال والحنفي يصليها في البلاط والأخـــذ مـــن الغرب الجنوب قبالة محرابه ولا حطيم له الشافعي بإيزاء المقام حطيم حفيل.[3]

وفي مكان آخر يتحدث إبن جبير عن مسجد عائشة ويشـــير إلـــى المـــذاهب بـــأنهم يحرمون من مسجد عائشة حيث يقول: "ومسجد عائشة خارج هذه الأعلام بمقدار غلوتين وإليه يصل المالكيون وإليه يحرمون، وأما الشافعيون فيحرمون من المساجد التي حـــول

---

[1]– الإمامة: أو الخلافة واجبة شرعا لأن أصحاب رسول الله عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر، واستقر ذلك إجماعًـــا دالاً على وجوب تنصيب الإمام، وقد ورد في القرآن والحديث كثير من النصوص التي تدعو إلى طاعة أولي الأمـــر، قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾أنظر: القرآن الكريم: **سورة قريش**، رقم الآية 59.

[2]– الزيدية: طائفة إسلامية تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين (79– 122هـــ/698– 740م)، وتتفق الزيدية مع الاثني عشرية في ترتيب الأئمة حتى الإمام علي زين العابدين، ولكنها تقول بإمامة زيد بدلاً من محمد، كما تختلف معها حول مفهوم الإمام ووظيفته. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

[3]– إبن جبير: المصدر السابق، ص 79.

الأعلام المذكورة وأشار عدد من الرحالة إلى تنوع حلقات العلم كحلقة سماع الأحاديث الشريفة وحلقة التفسير وحلقة الشعر والأدب وحلقة علوم الحديث وحلقة علم القراءات والفقه وغيرها من العلوم والذين أشاروا إلى هذه الحلقات منهم إبن جبير، وأبن بطوطة وغيرهم من الرحالين، وإذا أمعنا النظر في رحلة العبدري[1] فنجد أنه جعل فصلا فقهيا في مناسك الحج وذكر فيه آراء الإمام مالك حيث يقول: "والوقوف مع الإمام وبالوضوء أفضل، وكره مالك ترك موقف الوقوف على جبال عرفة وقال إلى الموقف كله سواءا.[2]

وذكر مالك في الموطأ أن عثمان إبن عفان كان إعتمر وربما لم يحط عن رحلته حتى يرجع[3]، كما تحدث إبن جبير عن تعدد الحلقات العلمية بتنوع العلماء وكثرتهم وحضر في إحدى الحلقات العلمية حيث يقول: " فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضا الدين القزويني رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية والمشار إليه بالتقديم في العلوم الأصولية حضرنا المجلس بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة، فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة فتوقفوا وشوقوا أتوا بتلاحين معجبة ونغمات محرجة مطربة ثم إندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سيكون القار والتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل، وإيراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معاينة ثم رشقته شلابيب المسائل من كل جانب، فأجاب وما فرض وتقديم وما تأخر ودفعت إليه عدة رقاع منها فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحد منها وينبذ بها أن فرع منها وحان المساء فنزل وإفترق الجمع مجلس علم ووعظ.[4]

ومن المدارس التي تؤدي دورها في المذاهب الدينية نذكر منها:

– مدرسة الزنجبيلي ذكر الفاسي إبن فهد موقعها عند باب العمرة ويدرس بها الفقه الحنفي وأوقعت سنة 1184م، وكان إبن جبير قد حج في تلك السنة ولم يذكر أنه رأى

---

[1]– العبدري: هو محمد بن محمد بن أحمد إبن مسعد العبدري يعود نسبه إلى بني عبد الدار، عالم ملم بجميع العلوم، تلقى تعليمه بمراكش وهو رحالة مغربي لم يعرف إلا القليل عن نشأته. أنظر: عواطف محمد يوسف النواب: المرجع السابق، ص ص 116– 117.

[2]–العبدري: **رحلة العبدري**، تح: إبراهيم الكردي، (د. ط)، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، 2005م، ص 403.

[3]–الشيخ الجليل مالك إبن أنس الموطأ: **كتاب الموطأ**، طبعة جديدة، دار الهدى، عين مليلة، ص 238.

[4]–إبن جبير: المصدر السابق، ص 81.

مدرسة بمكة ولم يرد ذكر هذه المدرسة في كتب الرحالة وربما لعدم شـــهرتها أو لتغييـــر إسمها خاصة[1].

مدرسة طالب الزمان الحبشية الشافعية في عام 1184م[2] ومدرسة الأرسوفي لإبـــن محمد عبد الله الأصل المصري للشافعية عام 1194م ومدرسة إبن الحداد المهدي المالكية و تعرف بمدرسة الأدارسة في عام 1240م.[3]

لقد كان المغاربة مولعون بالرحلة إلى المشرق يبحثون بذلك عن ذاتهم، عن منابعهم وأصولهم وقد سجلت تلك الإتصالات من خلال مدونات التاريخ وكتب الفهارس، وتـــراجم لعلماء ورجال الفضل من خلال كل هذه المصادر المهتمة بالغرب الإسلامي نكشف الكثير عن حياتها الإقتصادية والإجتماعية صيفا وشتاءا ربيعا وخريفا، لماذا؟ لأن موسم الحج هو تابع للسنة القمرية كان يختلف من حر إلى قر إلى الإعتدال، كل مصادر تـــاريخ العـــرب الإسلامي وما أكثرها كانت تهتم بلقب الحاج وهي عادة معروفة من القدم لدى المغاربـــة وخاصة منهم غير المنتسبين إلى آل البيت فإن هؤلاء لا يحملـــون عـــادة لقـــب الحـــاج بالمغرب لأنهم لا يحتاجون عادة إلى هذا اللقب الذي هو الحاج كان المغاربة ومما يزالون يحرصون على أن يضيفوا إلى نعوتهم الشخصية نعت الحاج، لأن المسافة الفاصلة بيـــنهم وبين مكة المكرمة لم تكن مسافة قصيرة ولا سهلة ولا حتى آمنة.[4]

ويلاحظ عند الحديث عن العلماء المغاربة ودور الحـــج فـــي حيـــاتهم أن الحجـــاج المغاربة فاقوا غير في الإهتمام بهذه الفريضة وتدوين ما يرافـــق آدائهـــا مـــن مواقـــف وأحداث، وقد ترك العلماء المغاربة كثيرا من الرحلات المكتوبة فيهـــا المقتضـــب وفيهـــا منسوب، وفيها المنشور والمنظوم والفصيح والعامي، وتدل هذه الرحلات المكتوبة علـــى أن الزائر المغاربي فيما يتصل بالحج بمكة المكرمة والكعبة المشرفة وزمـــزم والصـــفا والمروة وزيارة المدينة المنورة يحتاج إلى مؤلفات لأنه ملئ بالإيمان والعظمة والفائدة.[5]

---

[1]– عواطف محمد يوسف النواب: المرجع السابق: ص 249.

[2]– محمد بن عبد الله إبن بطوطة: المصدر السابق، ص 63.

[3]– نفسه، ص 65.

[4]– عبد الهادي التازي: **في رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، مراجعة: عباس صالح طاشكندي، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1426ه/ 2005م، ص 24.

[5]– عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص 16.

2- الأثر العلمي:

وفي رحلة محمد بن عثمان السنوسي المسماة الرحلـــة الحجازيـــة نجـــد إضـــاءات واضحة حول الجوانب الثقافية حيث عني كاتب الرحلة بما يجري في مكة من نشاط علمي وثقافي وإستوقفه طويلا تشابه طريقة التدريس في الحرم المكي لطريقة التدريس في تونس من حيث إلقاء المسألة ثم تطبيقها على الكتاب.[1]

كما نبه السنوسي إلى الثقافة اللغوية عند أهل مكة ذاكرا أن شجون الحديث تـــدعوه إلى ذكر ما رأى عليه علماء الحجاز من عنايتهم بعدة لغات أكثرها عندهم اللسان التركي الذي هو لسان الدولة العلية واللسان الفارسي لكمال إمتزاجه باللسان التركيـــي، واللســـان الهندي لكثرة الوافدين من الهند، واللسان الحبشي ولسان أهل جاوة وهاته الألســـن زيـــادة على اللسان العربي الأصلي في جزيرة العرب.[2]

وتعجب من أن العلماء في الحجاز يقرؤون العلوم الدينية والآلية إحتسابا وليس لواحد منهم معاشا عن ذلك من أموال بيت المسلمين ولا من أداة الأوقاف بحيث أنه لا جرايـــة على التدريس ولا للمدارس أصلا مع أن صنف العلماء لا محل مستحق من بيت المال.[3]

وتشير مصادر التاريخ المكي بما كان المغاربة القادمين إلى الحجاز وبخاصة إلـــى مكة والمدينة والمجاورين بهما من إسهامات جليلة، ومن جهود ومشـــاركات كبيـــرة فـــي النهضة العلمية، وفي مقدمة ذلك التدريس في أروقة الحرمين الشريفين ومساحاتها وفـــي أماكن إقامتهم، وتظهر آثار ذلك النشاط العلمي بما إستفاد علماء مكة والمدينة من إقتبـــاس أو كتابة وتأليف وأكدوا تلك الفائدة بإثناء ما حملوه عنهم من إجـــازات ومؤلفـــات علميـــة ومذكرات شخصية بنيت ما حصل من فوائد علمية في تلك اللقاءات العلمية في الحجـــاز، ووردت أسماء هؤلاء العلماء المغاربة الأجلاء الوافدين إلى مكة للحج في كتب التراجم.[4]

ومن العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى الحجاز وقاموا بالتدريس وبها وفي غيرها من البلاد الإسلامية أثناء توجههم إلى مكة لأداء فريضة الحج، وفي طريق عودتهم إلى بلدنهم

---

[1]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ص 187.

[2]- إبراهيم إبن عبد الله السماري: المرجع السابق، ص 44.

[3]- محمد السنوسي: المصدر السابق، ص 223.

[4]- الحاج صادوق، المرجع السابق، ص 157.

المغاربية نجد الشيخ محمد بن عيسى أطفيش الشهير بقطب الأئمة مارس مهنة تدريس الناس بالحرم المكي والمدني مما أدى إلى إلتفاف الطلبة على إختلاف مشاربهم من حوله.

والشيخ "محمد بن علي السنوسي"[1]

أثناء مجاورته بمكة المكرمة إجتمع بنخبة من العلماء والأولياء وكان يجمع ما بين الطريقة والحقيقة كما قام بتربية المرتدين وإحياء سنة جده الأمين أحمد بن عبد الله بن إدريس كما تكفل بإدارة الطريقة القادرية.[2]

والشيخ محمد السنوسي الذي شارك مع شريف مكة عبد الله بن عون ووالي الحجاز عثمان باشا في عمل الكعبة المشرفة.

والشيخ محمد محمود والد التلاميذ الشنقيطيين كانت له مجموعة من المناظرات والمساجلات مع علماء مكة، وهكذا كان هؤلاء العلماء المغاربة هم المنارات علم وهدى في أقطارهم وخارجها وكان العلماء المغاربة يستفيدون من المكتبات وخزائن الكتب الموقوفة على الحرمين الشريفين ويستعيرون بعضها للقراءة والإستفادة، فضلا عن شرائهم للعديد من المؤلفات في مختلف العلوم الإسلامية، فكان العلماء المغاربة من أسباب حفظ هذه المخطوطات ونقلها إلى خزائن الكتب بالبلاد المغاربية.

مما سبق يتضح لنا بجلاء أن المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة قد حفلتا بالعديد من العلماء الأجلاء الذين أسهموا بدور كبير في الحركة العلمية فيهما بالإضافة إلى القادمين إليها والمجاورين بهما، مما يلي كان له الأثر الكبير في النشاط

---

[1]– محمد بن علي بن السنوسي: ولد محمد بن علي السنوسي بمستغانم في الجزائر–1787م، إهتم بعلم العقائد والتوحيد حافظ للقرآن الكريم، فأتقن الفن على أكابر علماء بلده وكان ذلك الزمان كثير العلماء المحققين في كل قطر من أقطار بلاده، حتى قال له بعض مشايخه:" إن هذا القدر الذي معك من علم أصول الدين على صغر سنك لا يوجد عند أكابر علماء بلدك" وقد كان منذ صغره يميل إلى الإنزواء والإنفراد ويمضي وقتا طويلا في التفكر العميق ويتألم من حالة الأمة وما وصلت إليه من الضعف والهوان وكان يبحث عن عوامل النهوض وأسباب توحيد صفوف الأمة وإحياء الملة الإسلامية. أنظر: علي محمد الصلابي: **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي**، الحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ط1، دار البيارق، لبنان، 1999، ص 25. و أنظر: أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.ت)، ص368.

[2]– سعيد بن سعيد: **أدب الحج في المغرب العربي**، نموذج من الرحلة الحجية المعاصرة في المغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد21، 1422هـ، 318.

العلمي وإستطاع الرحالة المغاربة الإلتقاء بعدد كبير منهم والإستفادة من علمهم، وحضور حلقات دروسهم المعقودة في المسجدين الشريفين.

ومما لا شك فيه أن تمتع مكة المكرمة والمدينة المنورة بمكانة عظيمة في نفوس المسلمين جميعا، وتقاطر العلماء والمتعلمين إليها بصفة مستمرة وأهما لأن تكون من أهم المراكز التي تشد إليها الرحال وتضرب إليها أكباد الإبل في سبيل العلم والعبادة وقد تبين لنا أن الكثير من علماء آثر المكوث فيهما على العودة إلى ديارهم متخذين منها مكانا للمجاورة، مع قيامهم إلى جانب علمائهم بدور كبير في الحركة العلمية على الرغم مما مرتا به من ظروف سياسية و إقتصادية صعبة.[1]

وظلت مكة المكرمة والمدينة المنورة مقصدا يصلها العلماء وطلبة العلم للزيارة وأداء فريضة الحج ونيل العلم فيقيمون فيهما فترة تمتد إلى سنوات بل أننا لنجد بعضا من هؤلاء العظماء يقتضي بقية عمره بإحداهما كما تعد الرحلة إليهما في طلب العلم من الأشياء المهمة لعماء تلك الفترة، وقد حفلت كتب التراجم بالإشارة لذلك عائدة إلى مكانة المدنيين في نفوس المسلمين وما كان عليه المسجد الحرام والمسجد النبوي من نشاط علمي إذ كانا بمثابة جامعة كبيرة متنوعة العلوم يعقد فيهما الحلقات العلمية يوميا وهذه الحلقات مفتوحة لكل راغب في المعرفة، غير مرتبطة بدوام محدد ولا تفرض مادة بعينها للدارس وينتقل فيها الطالب من حلقة لأخرى إلى أن يستقر في الفن الملائم له.[2]

3- الأثر الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة على البيئة الحجازية

1- الأثر الاجتماعي:

الحياة الاجتماعية تتكون من عدة مظاهر ومنها طبقات المجتمع والإحتفالات والعادات والتقاليد والملابس، والمواكب والأطعمة والأشربة إلى غير ذلك من المظاهر وكانت تولى حكم الحجاز الأشراف من ذرية الحسن بن علي في مكة المكرمة ومن ذرية الحسين بن علي في المدينة المنورة وإتسم حكمهم بطابع الإمارة فقط[3]، وقد أشار إبن جبير في رحلته إلى حاكم مكة المكرمة حيث يقول وفي عشية يوم الثلاثاء الحادي عشر

---

[1]- عواطف محمد يوسف النواب، المرجع السابق، ص 257.

[2]- محمد علي فهيم بيومي: **المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي**، ط1، دار القاهرة، 1428هـ/ 2007م، ص 205.

[3]- عواطف محمد يوسف النواب، المرجع السابق، ص 201.

من الشهر المذكور وهو الثاني من شهر أغشت كان إنفصالنا من جـدة بعـد أن ضـمن الحجاج بعضهما بعضا وثبت أسماؤهم في زمام عند قائد جدة علي بن موقف حسبما نفـذ إليه ذلك من سلطانه صاحب مكة مكثري بن عيسى المذكور وهذا الرجل مكثر من ذريـة الحسن بن علي، رضوان الله عليهما لكنه ممن يعمل غير صالح فليس مـن أهـل سـلفه الكريم رضي الله عنهم[1].

وتحدث شكيب أرسلان[2] عن أمراء مكة المكرمة بالتفصيل حيث قـال: " وهـؤلاء الذين منهم الأمير عبد المطلب الذي ولي إمامة مكة ثلاث مرات والذي حفيده الأمير علي حيدر باشا وقد ولته الدولة الإمارة في أيام الحرب بعد أن ثار عليها الشريف حسين بـن علي ولقب ملكا"[3]، وطبقة العلماء في الرحلات الحجازية أعطى الرحالون أهمية كبيـرة للعلماء أثناء رحلته وقد تحدث الرحالون عن مجالسهم ودروسهم وخدماتهم لإزالة البـدع والمنكرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل الأذى في سبيل ذلك ولهم مواقف في الحق مع الحكام نسوق منها علي سبيل ما حدث بين العالم إبن عبد الله محمد بن أبـي بكر بن خليل العسقلاني حيث سجنه الشريف أبوا نمي لقيامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يلبث أن أطلقه بعد مدة من الزمن طبقة القضاة ويلحق بفئـة العلمـاء وطبقـة القضاة والأئمة حيث يختارون من رجال العلم وأهل الدين ويقومون بتنفيذ الأحكام الدينيـة على سائر الناس، وفي بلاد الحجاز نلاحظ وجود قضاة لجميع المذاهب فكل طائفة تتبـع إمامها وقاضيها ولكل إمام مكان محدد في المسجد يصلي فيه مع أتباعه.[4]

أما عن العادات والتقاليد: فقد حظي شهر رمضان الكريم في بلاد الحجاز بـالتعظيم والإجلاء لما له من أهمية دينية والعادات المعروفة فيه المسحراتي وهو القائم على إيقـاظ

---

[1]– رحلة إبن جبير: المصدر السابق، ص 57.

[2]– شكيب أرسلان: تعمي كلمة شكيب بالصابر وأرسلان بالأسد كما لقب بالأمير و ساهم في الحركة الوطنية في الجزائر والمغرب، وهو شخصية حاقدة على فرنسا له عدة كتابات مثلا " لماذا إستخلف المسلمين" وهو شخصية (دورزية سنية) وهو الوحيد الذي أدى فريضة الحج. أنظر: شكيب أرسلان: **الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف**، تص و تع: محمد رشيد رضا، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1350هـ، ص 03.

[3]– شكيب أرسلان: **المرجع السابق**، ص 126.

[4]– نفسه: ص 127.

الناس في وقت السحور وعند إقبال شهر شوال يتميز الناس فيه بإرتداء الملابس الجديـدة والتي أعدت خصيصا لهذه المناسبة و يتبادلون فيما بينهم التهاني.[1]

ومن العادات أيضا ضرب الطبول في أوقات الصلاة إشعارا لإبتداء موسـم الحـج، ويخبرنا إبن جبير عن هذه العادات حيث قال:" وفي تلك الليلة ملئ المسجد الحـرام كلـه سرجا فتلألأ بالأنوار وعند ثبوت رؤية الهلال عند الأمير أمر بضرب الطبول والدبادب والبوقات إشعارا بأنها ليلة موسم، وقال أنه من عادات أهل الحجاز ولأهل هذه الجهـات الشرقية كلها سيرة حسنة عند مستهل كل شهر من شهور العام يتصافحون ويهنئ بعضهم بعضا ويتعارفون ويدعو بعضهم البعض، كفعلهم في الأعياد هكذا دائما[2].

ومن عادات أهل مكة إخراج مصحف مكتوب بخط زيد بن ثابت أثناء القحط وعـدم الغيث ويضعون على العتبة الشريف وعن العادة تحدث إبن جبير وإبن بطوطة كان أهـل الحجاز وبخاصة أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة يحتفلون بدايـة الشـهور الهجريـة، وكانوا يحتفلون بالذهاب إلى الحرم المكي والمدني مع طلوع شمس أول كل شهر وهكذا كانت عندهم الأعياد والإحتفالات الأخرى.

ومن عادات المكيين أيضا الإحتفال بالضيوف وإقامة الولائم كل حسـب إسـتطاعته المادية بالإضافة إلى عادة إستقبال الحجاج وإخراج أطفالهم لمساعدتهم في أداء المناسـك وإرشادهم إلى الطريق الصحيح لأداء الفريضة، كما درج أهل مكة على إعداد مياه زمزم للشرب في الحرم المكي حيث توضع في دوارق بعد تنظيفها، كما تحدث إبن بطوطة عن العادات الحسنة لأهل مكة واصفا إياها من الأفعال الجميلة والمكارم التامـة والأخـلاف الحسنة والإيثار إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الحوار للغرباء ودل ذلك على أنه متـى صنع أحدهم وليمة بدأ بإطعام الفقراء أو المنقطعين والمجاورين و ذكـر أمـاكن تواجـد المساكين والمنقطعين فقال: "يكون بالأفران يطبخ هناك أهل مكة أخبازهم فإذا طبخ أحدهم خبزة إحتملها إلى منزله يتبعه المساكين فيعطي لكل واحد منهم ما قسـم لـه ولا يـردهم

[1]– إبن جبير: المصدر السابق، ص 108.

[2]– نفسه، ص 108.

خائبين ولو كانت له خبزة واحدة فإنه يعطي ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر".[1]

ومن حسن عاداتهم أيضا إعتناؤهم بالأيتام ومساعدتهم على تعلم طرق الكسب الحلال، وقد أشار إبن بطوطة إلى كثرة إستقبال أهل مكة الطيب والكحل والسواك، ولقد ترك الرحالة المغاربة أحكاما عامة وأخبار عن صفات وأخلاق لم تعجبهم عند أهل زمانهم وأساءت إليهم كالغيرة والحسد الكره والظلم والغش والكذب والوشاية والسرقة وقطع الطرق على المسافرين.

فذكر محمد السنوسي أنه وجد في الحجاز فئة تعاديه وتحقد عليه وتحسده في مكانته العلمية وشهرته بين الناس، وكذلك تعرض أبو راس الناصر إلى سوء معاملة العلماء المصريين له أثناء أدائه فريضة الحج إذ حسدوه في علمه وحفظه وفهمه فامتحنوه وشككوا في إجابته لكنه أثبت تفوقه.

عرف المجتمع الإسلامي إبان الحكم التركي حوادث ومخاطر كثيرة، من حروب داخلية وخارجية وإنخفاض في مستوى المعيشة، وإنتشار الأمراض والأوبئة وغيرها من الواقع، تركت آثار سلبية على السكان كالوفيات والجلاء الجماعي وخراب المدن.[2]

وقد تناول الرحالة المغاربة وتحدثوا عن بلد الحجاز الذي عرف مشاكل مشابهة، تعلقت بالقرصنة البحرية وترصد "المرتزقة"[3] بالسفن الوافدة على ميناء جدة قصد السلب لسلعها وقتل المقاومين، وهي أخبار وردت في رسائل مفتي الحرم المكي عبد الرحمن بن مرشد إلى الرحالة المغاربة فقال المفتي عن أحوال الحرمين فهي على ما يعهده من القرار غير أن المرتزقة توارت عليهم عوائق الأحوال فألجأهم إلى مذاق الأهوال حيث لم تصل سفن الحبوب، فأحوال أهل الحرمين بسبب ذلك غير منتظمة وأموالهم في دفاتر اليأس أضحت مرتقمة .[4]

---

[1]– محمد جابر الأنصاري: **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992م ص 21.

[2]– عواطف محمد يوسف النواب: المرجع السابق، ص 203.

[3]– المرتزقة: هو اسم يطلق على شخص يخدم في القوات المسلحة لبلد أجنبي من أجل المال. ومعظم الرجال والنساء المرتزقة يفعلون ذلك من أجل المال أو لأنهم يحبون الحرب والمغامرة. أنظر: أحمد شويخات: المرجع السابق.

[4]– أبو العباس أحمد المقري: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد إبن عمر، مكتبة الرشاد، الجزائر 2004م، ص 58.

2- الأثر الإقتصادي:

ذكر معظم الرحالة الجانب الجغرافي للحجاز ولا سيما مكة المكرمة والمدينة المنورة وبعضهم وصفو لنا بدقة وعينوا حدود الحرم المكي والمدني حيث أن العبدري جعل فصولا في بيان حدود مكة المكرمة والمدينة المنورة.[1]

والإصطخري الذي يعد من الجغرافيين والرحالين تحدث كثيرا عن مواقع للمناطق التي زارها[2]، وتظهر لنا حالة الحجاز الإقتصادية من خلال كتب الرحالة المغاربة في إشاراتهم للزراعة والصناعة والتجارة إذ عني طريقها يمكننا معرفة مدى الإزدهار والركود الذي ساد في تلك الفترة، ولم تحظى الناحية الإقتصادية بعناية المؤرخين حيث أن كتاباتهم إهتمت بإظهار الجانب أكثر من النواحي الأخرى وفيما يتعلق بالزراعة في بلاد الحجاز نلاحظ إعتمادها على المياه وإذا تتبعنا البساتين والأراضي الزراعية من خلال كتب الرحالة فإننا نجد أنها تنتشر في مكة المكرمة كما تنتشر البساتين في منطقة السفلة حيث زرعت أشجار النخيل والرمان والعنب والحناء.

وقد تحدثت كتب الرحالة عن مناطق زراعية في الطرق التي سلكوها أثناء رحلتهم في "ينبع"[3] وقباء والصفراء والدهناء وتبوك.

وتميزت بلاد الحجاز بوجود بعض الغلات الزراعية مثل التمر والرمان والعنب والحناء والتين وأسفرجل والخوخ وغيرها، أما الثروة الحيوانية فقد تمتعت بلاد الحجاز بوجود ثروة حيوانية بها ومنها على سبيل المثال الجمال وتستخدم في نقل الأشخاص والأمتعة وغيرها، وقد تبع ذلك كثرة المنتوجات الحيوانية وتنوعها مثل اللحوم وجودتها وهذه دلالة على وجود المراعي التي أسهمت في تنمية الثروة الحيوانية.

أما الصناعة نلاحظ بعض المواد الخام المجلوبة إليها مثل الجوهر والياقوت وغيرها من الأحجار الكريمة كما أن هناك بعض مصنوعات من الفضة لتزيين المسجد الحرام.

---

[1]-العبدري: المصدر السابق، ص 364- 365.

[2]- الإصطخري: المصدر السابق، ص 8.

[3]- ينبع: تقع على طريق البخور والبهارات من اليمن إلى مصر ومنطقة البحر المتوسط تعد مركزا تجاري منذ العصر الإسلامي، إذ شهدت توافد قوافل و بواخر الحجيج القادمة من شمال إفريقيا ومصر، وهي اليوم تتكون من ثلاث مقاطعات رئيسية: مدينة ينبع النخيل وينبع البحر وينبع الصناعية وهي تعد مركزا سياحيا إذ يتجه إليها السكان للنزهة والتمتع بجوها. أنظر: د/ أحمد شويخات: المرجع السابق.

التجارة:

إعتمدت بلاد الحجاز على التجارة لإقبال الكثير على العمل في مجالها يبدوا أن طبيعة البلاد دفعت السكان إليها ونجد ذلك واضحا في القرآن الكريم في دعوة إبرهيم الخليل لأهله: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ "[1] فالآيات تشير إلى المكان وما خصه الله به من مميزات دينية وهي إتجاه القلوب إليه ثم من الناحية الإقتصادية المتمثلة فيما ساقه الله لهم من رزق ليكونوا شاكرين لنعمه ومحافظين عليها.

ونجد أنه قد هيئ السكن للتجار والحجاج، إذ نلاحظ وجود الفنادق بكثرة في مدينة جدة وفيما يبدو أنها أعدت لنزول المسافرين والتجار، ومن المراكز والمحطات التجارية في بلاد الحجاز جدةومكة المكرمة وينبع وتبوك والعلا والحوراء والهناء ورابغ والبرابر وعسفان.

وجود جالية مغربية عملت بالزراعة بالحجاز ما ينتج عليه رواج هذه المهنة وإستصلاح كثير من الأراضي حول مكة ومعرفة أهل الحجاز لأساليب المعاملات التجارية بمختلف أنواعها من بيع وشراء أو رهن وإستدانة ومقايضة.[2]

أما الأسواق التجارية فهي كثيرة في الحجاز وتنوعت مبيعاتها وأوقاتها ففي مكة المكرمة يوجد سوق تجاري ما بين الصفا والمروة تباع فيه الأطعمة وسوق العطارين وسوق البزازين وسوق العبيد والجواري المعروف بسوق النخاسة والأسواق الموسمية كأسواق الحج في عرفة وفي منن و يقرب الحرم وهذه الأسواق تستمر طوال موسم الحج.[3]

وأشار إبن جبير إلى أسواق التجارة في مكة المكرمة حيث قال:" وما بين الصفا والمروة مسيل هو اليوم سوق حافلة أنواع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر المبيعات الطعامية والبياعون لا يكادون يحصلون من كثرة الزجام، وحوانيت الباعة يمينا وشمالا،

---

[1]– القرآن الكريم: **سورة إبراهيم**، رقم الآية 36– 37.

[2]– حافظ محمد باد شاه: **الحجاز في أدب الرحلة العربي**، أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف الدكتور: كفايت الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة، محاضرة بقسم اللغة العربية، إسلام آباد، باكستان، 2007– 2011م، ص 90

[3]– حافظ محمد باد شاه: المرجع السابق، ص 100.

وما للبلدة سوق منظمة سواها إلا البزازين والعطارين، فهم عند باب بني شبيهة تحت السوق المذكورة و بمقربة تكاد تتصل بها وأشار العبدري إلى سوق كبيرة في عرفة حيث قال: " ويكون بعرفة سوق كبيرة يجلب إليها كل شيء و يكثر بها الطعام، يأتي به قوم من ناحية اليمن يقال لهم "السرو" وجفاة و بداوة ومفرطوا البداوة، عرب الألسنة، أدم الألوان ناحف الأبدان أكثرهم يجلب على ظهره والعري فيهم فاشي إلى السترة ولهم ألفاظ حوشية ووالدينار في لغتهم أربعة دراهم.[1]

وقال العبدري عن سوق داخل المسجد الحرام عند باب بني شبيه حيث قال: " وفي داخل المسجد الحرام عند باب بني شبيهة سوق كبيرة بأنواع المبيعات من أكثر الأسواق زخاما ولغطا"، وصاحب الرحلة الحجازية، شكيب أرسلان تحدث بالتفصيل عن أسواق العرب وبخاصة سوق عكاظ وبين تاريخ أسواق العرب وما تباع فيها، فها هو يقول عن سوق عكاظ: " عكاظ وزان وغراب سوق من أعظم الجاهلية وراء قرن المنازل بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن"، وقال أبي عبيد: "هي صحراء مستوية لا جبل بها ولا علم وهي بين نجد والطائف وكان يقام فيها السوق في ذي القعدة نحوا من نصف شهر ثم يأتون موضعا دونه إلى مكة المكرمة يقال له سوق مجنة فيقام فيه السوق إلى آخر الشهر، ثم يأتون موضعا قريبا منه يقال له ذو المجاز فيقام في السوق إلى يوم التروية ثم يصدرون إلى منى ويرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرام فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار".[2]

ويقول إبن جبير: "وهذه الفواكه تجلب إليها من الطائف وهي على مسيرة ثلاثة أيام منها، على الرفق والتودد ومن قرى حولها، وأقرب هذه المواضع يعرف بدم وهو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلا، وهو من بطن الطائف ويحتوى على قرى كثيرة، ومن بطن مر وهو على مسيرة يوم أو أقل[3]، ومن نخلة وهي على مثل هذه المسافة ومن أودية بقرب من البلد كعبين سليمان وسواها، وقال عن بطن مر: " وعلى هذه الوادي قطر متسع وقرى كثير وعيون ومنه تجلب لفواكه مكة".

---

[1]– إبن جبير: المصدر السابق، ص 96.

[2]– العبدري: المصدر السابق، ص 389.

[3]– ابن جبير: المصدر السابق، ص 96.

وفيما يخص التجارة الخارجية كان الأشهر والأهم إذ قام المغاربة بدور قوي في التصدير إلى المدينة المنور ثم نقل الحاصلات التي يتاجر فيها غير المغاربة في البداية إلى بلاد المغرب، ولقد ساعد المغاربة على تنشيط التجارة الخارجية للمدنية المنورة عدة أسباب منها: التي ساعدت عليه الدولة العثمانية التي حرصت على تهيئة أسباب الوصول إلى المدنية المنورة من بلاد المغرب ومصر على نحو خاص فأنشأت الكثير من السفن من السويس إلى ينبع وهو الميناء الرئيسي للمدينة المنورة و كانت هذه السفن تنقل الأفراد والمتاع وشتى أنواع ومخصصات الحرمين الشريفين، ثم تقوم بدور تجاري كبير حيث تحمل المنتجات المصرية والمغربية إلى المدنية وبعدما تؤدي تلك السفن مهمتها تقوم بدور كبير في تنشيط التجارة إذا يقوم التجار المغاربة باستخدام السفن العائدة إلى السويس فارغة أو يعبئونها بشتى أنواع التجارات الهندية أو اليمن اليمنية وغيرها من تلك المنتجات.[1]

ومن الأسباب المهمة التي سهلت التجارة المغربية إلى بلاد الحجاز كثرة المغاربة المنتشرين في الإسكندرية ورشيد والقاهرة والسويس حيث قاموا بدور بارزا في تسهيل التجارة، وكانوا الواسطة التجارية بين المغرب والمدنية المنورة والحجاز وعقد شركات عديدة عملوا بموجبها في ميدان التبادل التجاري.

وأما عن أهم الصادرات التجارية التي قام بها المغاربة ووصلت إلى المدينة المنورة فكانت الأقمشة القطنية والصوفية والحريرة والسبح، كذلك تفيد المراجع التاريخية أن المغاربة كانوا يرسلون أيضا إلى المشرق عامة والمدينة المنورة خاصة الزعفران والمسلي وزيت الزيتون والفلفل الأسود والزبيب وعسل النحل والقمح والأر، كما قام المغاربة أيضا بالتجارة في الماشية من جاموس وغنم وبغال وحمير وتاجروا أيضا في الأحرمة والصوف والأخشاب والكتان والجلود، والشمع الأصفر والكبريت والحبال وتعد هذه المنتجات عن الصادرات المغربية التي تذهب إلى الحجاز بعامة وليست المدينة المنورة وحدها[2]

[1]– عواطف محمد يوسف النواب: المرجع السابق، ص 243– 244.

[2]– حافظ محمد باد شاه: المرجع السابق، ص ص 322– 323.

أما أشهر الواردات: أن المغاربة بعد خروجهم من الحجاز والمدينة المنورة يعودون بأنواع التجارة وحتى وصولهم إلى بلادهم حيث يقوم بعضهم بتعمد السير في طريق الشمال حتى الوصول إلى غزة فيبيعون ويبتاعون ثم يصلون إلى مصر ويفعلون نفس الشيء ومن الأمثلة على ذلك ما فعله تجار المغرب حال عودتهم من الحج.[1]

بالإضافة إلى الكثير من الجمال المحملة بالأقمشة السورية المجلوبة من مصر والحجاز البخور والجاوي والمسك الطيب ومن خلال القائمة التي أوردها أستيف عن تجار جزيرة العرب والهند في السويس من خلال عرضه للضرائب المفروضة عليها تبين أن أهم المنتجات التجارية المجلوبة إلى البلاد المغرب تتمثل في الصبر أو التحليت والشتثم، والسمغ وسم المسك والمسامير والبلح المجفف والأقمشة القطنية والبخور والعقاقير الطبية والخضراوات والحبوب والعلف والكركم والصوف والكتان المغزول والمر والصدف واللؤلؤ وملح النطرون وبندق الهند والفلفل والأرز وزهور جافة وملح اليوشاردر والسكر والتمر هندي ولوازم النسيج وحدود الزعفران بالإضافة إلى ألاك الحديد وغير ذلك من المنتجات الغذائية، والمنتوجات والعطور والنباتات التي جلبها التجار المغاربة إلى الحجاز [2].

وفي خلاصة فصلنا هذا نلاحظ أن الرحالة المغاربة كان قد إنصب إهتمامهم على نقص أحوال مكة المكرمة من جميع جهاتها دون المدينة المنورة وباقي المدن وقرى الحجاز وهذا عائد إلى طول مكوثهم بها، وتصدر الرحالة المغاربة عند العودة إلى موطنهم للإقراء والتدريس وتولى القضاء والإمامة أو الكتابة لدى بعض أمراء المغرب فتأهلهم لشغل هذه المناصب التعليمية والدينية بفضل العطاء والأخذ الذي تم بالمدينتين المقدستين فأهلهم ذلك لاحتلال مثل هذه المناصب فأغلب المغاربة كانوا أدباء بارعين تولوا قبل مجيئهم إلى المشرق مناصب مهمة في بلادهم مثل الكتابة لأمرائهم.

معظم الرحالة المغاربة كانوا يحملون الرحالة السابقين عليهم للمقارنة وإضفاء الجديد وتصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم وربما النقل عند بعضهم في بعض الأحيان للأمور التي لم يتبين لهم رؤيتها أو لبعد العهد والنسيان كان خروج الرحالة

---

[1]– حافظ محمد باد شاه: المرجع السابق، ص 323.

[2]– عواطف محمد يوسف النواب: المرجع السابق، ص 245– 247.

المغاربة أساسا للحج الزيارة وطلب العلم فلمعت أسمائهم وذاع صيتهم بنا نالوه من علـــم هناك إضافة إلى كتاباتهم لرحلتهم التي توضح ثاقب نظرهم للأمور وتحليلها وحكمهم على الأحداث النـي نقلوها بكل أمانة لبعدهم عن التحيز لجانب دون آخر، إذ يتم تقييـــد الرحلـــة دون إعداد مسبق بل يستمر وفق خط مسير رحلتهم وما يصادفهم أثنائها.

الخاتمـــــــة

خاتمـــــــــة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع فإننا توصلنا إلى مجموعة من الإستنتاجات والتـــي يمكننا ذكرها في النقاط التالية:

لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن البحث في موضوع الرحلات بشكا عام يعـــد مجالا رحا واسعا يفتح للباحث آفاقا متعددة ومختلفة خاصة في الفترة المخصصـــة لهـــذه الدراسة، ذلك أن بلاد المغرب قد شهدت حركة تنقل واسعة باعثها الأساسي القيام بمناسك الحج، وإستطاعت بذلك هذه الرحلات وبفضل القائمين أن تصبح مصدرا مهمـــا لمعرفـــة الحياة الثقافية والفكرية والتاريخية وكذا التعرف على البيئات العلمة مشرقا ومغربا أذ أنـــه يوجد بها ذكر لأهم المراكز العلمية ومجالس الدرس والتحصيل والعلوم التي كانت هـــدف الرحالين والطلبة ولا أحد ينكر ما يمكن أن يفيده المثقف الباحث أهمية الرحلات فتنـــوع موضوعاتها جعلها قبلة لمنع المعلومة التاريخية والجغرافية والشعرية وغيرها.

كما أن الرحلة تعد مصدرا هاما لدراسة التاريخ ومن خلال ما صدر عن الرحـــالين من آراء وتصويبات بتأكيدها الوقائع ظعن طريق المشاهدة والقارنة، كما كـــان خـــروج الرحالة أساسا للحج والزيارة وطلب العلم فلمعت أسمائهم وذاع صيتهم بما نالوه من علـــم هناك وكثير من الرحالين دونوا رحلاتهم الحجازية ولكن مع الأســـف ضـــيعت لأســـباب متعددة.

إن الرحلات الحجازية من أهم الرحلات التي دونت في أزمنة مختلفة بحيث يتمتـــع القارئ ويتشوق بالذهاب إلى الحجاز برؤية تلك البلاد المقدسة وتعتبر الرحلات الحجازية من أعم الكتب الي أشارت إلى الجانب العلمي فقد كشف الرحالون عـــن أهـــم المراكـــز العلمية والمدارس التي تلقوا فيها العلم.

إن بعض الرحالين كتبوا رحلاتهم بأسلوب غير أدبي وبلغة محلية وعلى سبيل المثال رحلة محمد بن عثمان السنوسي التي تعد من أبرز الرحلات الحجازية النثريـــة لعلمـــاء

تونسيين إضافة إلى أن معظم رحالي الحجاز قد تحدثوا عن المدن الثلاث مكـــة الكرمـــة والمدينة المنورة وينبع وإهتمامه بتقصي أحوال مكة المكرمة من جميع جهاتها والمدينـــة المنورة وباقي مدن الحجاز وهذا عائد إلى طول مكوثهم بها.

حظي الحجاز بالعديد من الدراسات في الآونة الأخيرة لما له من منزلة عظيمة فـــي نفوس المسلمين وإستخدمت كافة المصادر للإلمام بتاريخ هذه البقعة المبهمة ولكن الإعتماد على كتب الرحالة المغاربة و إظهار أهميتها كمصدر مهم من مصادر تريخ الحجـــاز لـــم يحظى لدراسة كافية ولقد إعتمدنا في هذا البحث على بعض كتب الرحالة المغاربة لإظهار أهميتها والتأكد على أنها من المصادر المهمة لتاريخ الحجاز ولا يجب الإســـتغناء عنهـــا فخلصنا إلى عدد من النتائج فيما يتعلق بالرحلات التونسية والليبية إلى الحجاز.

وتعد الرحلة الحجازية للشيخ محمد بن عثمان السنوسي من أبرز الرحلات الحجازية النثرية لعلماء تونسيين فقد قام المؤلف بهذه الرحلة سنة 1882م، حيث كان قد إرتحل من مصر بحرا وذلك بعد رحلات متعدد في أوروبا وغيرها من ميناء السويس، وإن المطلـــع على الرحلات الحجازية يتبين له مدى تعلق المغاربة وإتصـــالهم بالعلمـــاء وإغتنـــامهم تواجد العلماء المسلمين من مختلف الأنحاء في وقت واحد وفي مكان واحد.

هذا ولم يكن للمشرق العربي جاذبية روحية ودينية فقط وإنما كانت له أيضا جاذبيـــة علمية فالكثير من المغاربة كانوا يخيرون القيام برحلة علمية للمشرق العربي طلب العلـــم ولتفادي الأخطار والمشاق عن الحج، وفيما يخص الجانب العلمي فقام العلماء بالرحلـــة لطلبه فلمعت أسمام بعضهم بفضل ما قاموا به من رحلات بجميع أهدافها وأغراضها ووقد ترتب على ذلك شغف المسلمين بالرحلة وعرفوا وأتقنوا مختلف أنواعها وهذا ينطبق عـــل مسلمي المشرق والمغرب على حد سواء.

إلا أن مسلمي المغرب والأندلس انفردوا بنوع فريد من الـــرحلات هـــي الـــرحلات الحجازي والتي أساسها أداء فريضة الحج والزيارة وطلب العلـــم، وقـــد أفـــرزت هـــذه الرحلات مذكرات ومشاهدات لهؤلاء الرحالة تكونت منها رحلاتهم التي أصبحت بمثابـــة موسوعة علمية مصغرة لما حوته من معلومات مهمة لكافة أحوال المسلمين فـــي تلـــك الفترة إضافة إلى كونها سجلا ضمت قوائم بأسماء علماء المســـلمين البـــارزين الـــذين تخصصوا في مختلف العلوم مثل علم القراءات وعلم الحـــديث وافقـــه واللغـــة العربيـــة والتاريخ والشعر والأدب.

فالرحالة يدونون لما حولهم يستقطب إهتمامهم بجميع الأمور وأن صـــغرت ففيهـــا لمعت أسماء العلماء ومنها إنتشرت الكتب إلى المشرق والمغرب على حد ســـواء وهـــذا بفضل الوسائل المهيئة لنشر العلم من وجود العلماء والكتـــب وتبادلهـــا بيـــنهم وإنتشـــار المدارس والأربطة التي كانت عبارة عن مساكن لطلبة العلم أقيمت بها مكتبـــات حـــوت نفيس الكتب التي كانت مدار الطلب في ذلك الوقت، فأكدوا على طلب العلم والنهل منـــه بعدما أمنت حاجاتهم الأساسية من مسكن وغذاء ومرتبات بفضل ما كـــان يصـــل مكـــة المكرمة من الأعطيات والصدقات التي ترسل من ملوك وأمراء وأغنياء المسلمين لتفـــرق عليهم هناك.

بروز دور المسجد الحرام العلمي فقدد كان بمثابة جامعة مفتوحة يتوافد إليه طـــلاب العلم المسلمون من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وفضل الكثير منهم المجاورة لتلقي العلم على أيدي علماء مثلوا المذاهب الإسلامية وبرعوا في فنون العلم المختلفة.

الملاحـق

الملحق رقم 01:

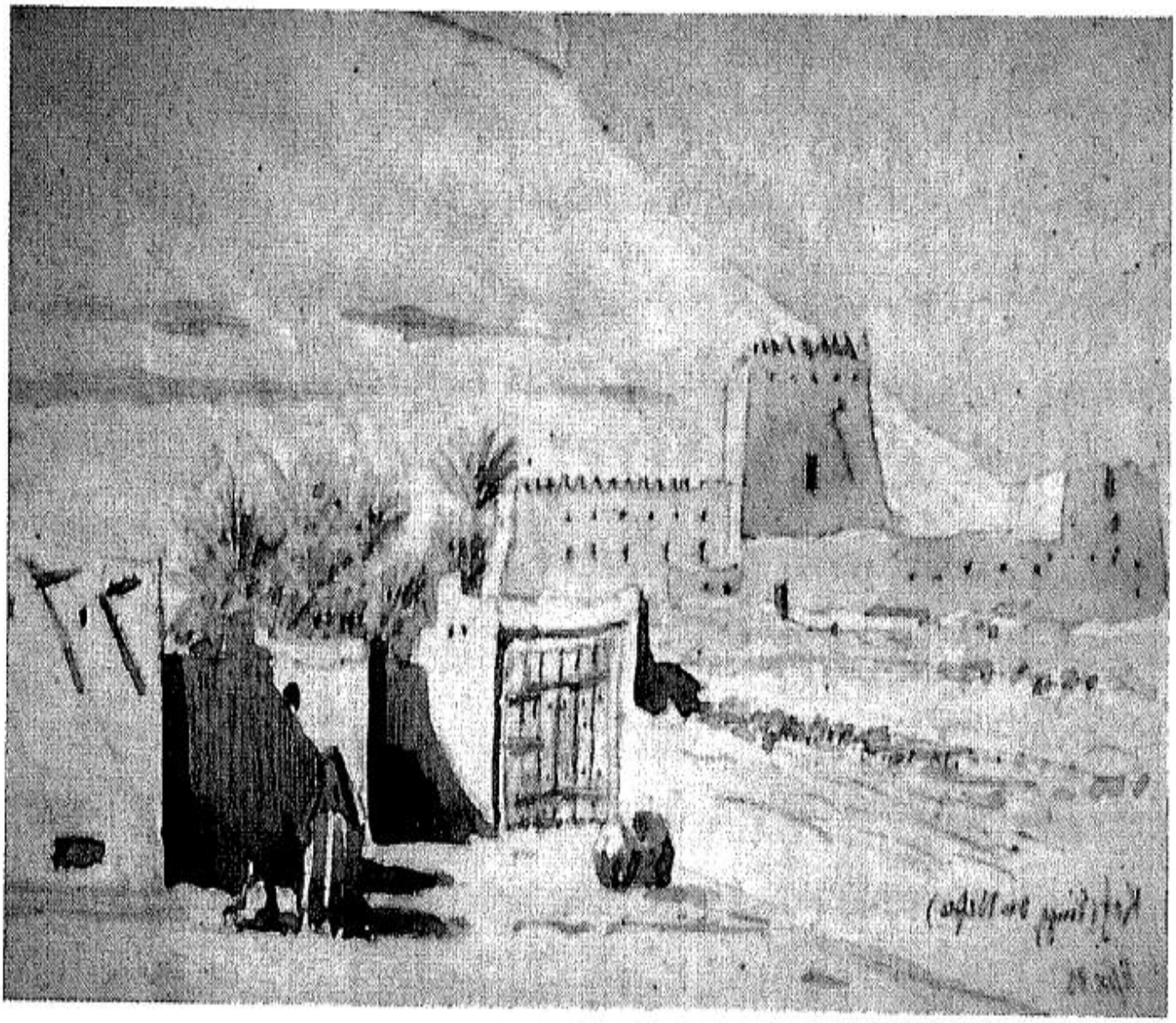

كاف

يوليوس اوتينج: المصدر السابق، ص 63

الملحق رقم 02:

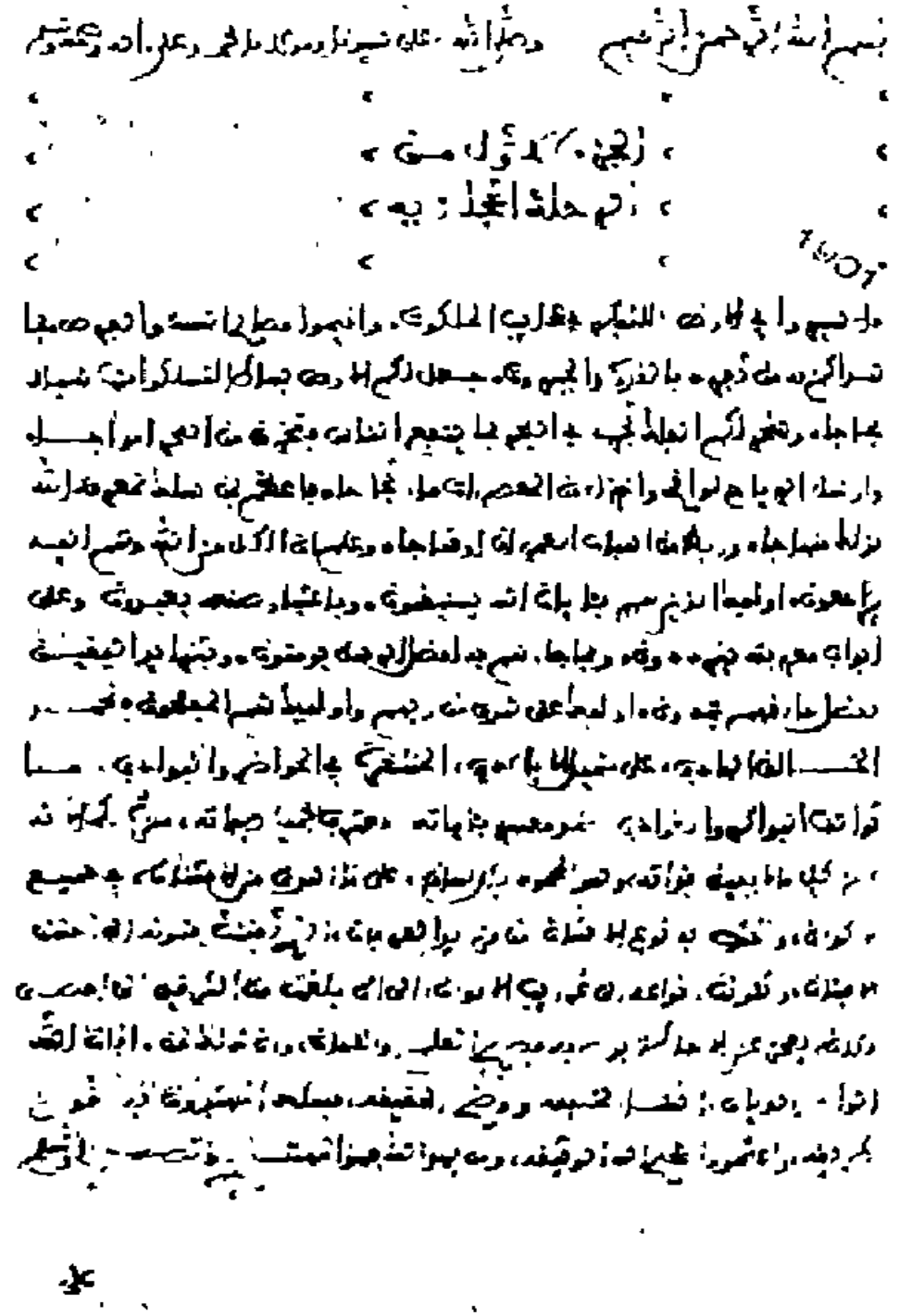

I ـ صورة من المخطوطة : الصفحة الاولى من الجزء الاول

محمد السنوسي: المصدر السابق، ص 33.

الملحق رقم 03:

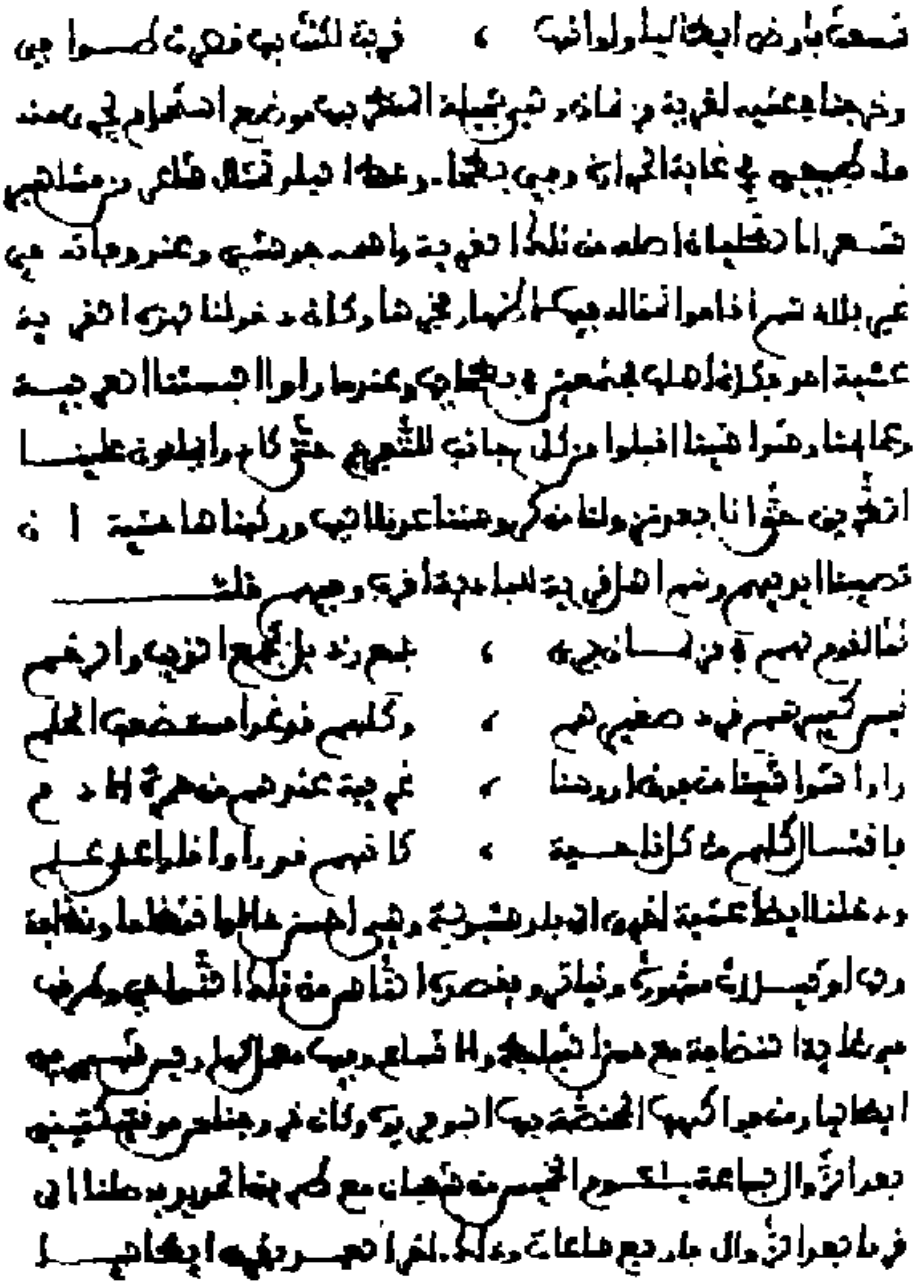

صورة من المخطوطة : الصفحة الاخيرة من الجزء الاول

محمد السنوسي: المصدر السابق، ص 34.

الملحق رقم 04:

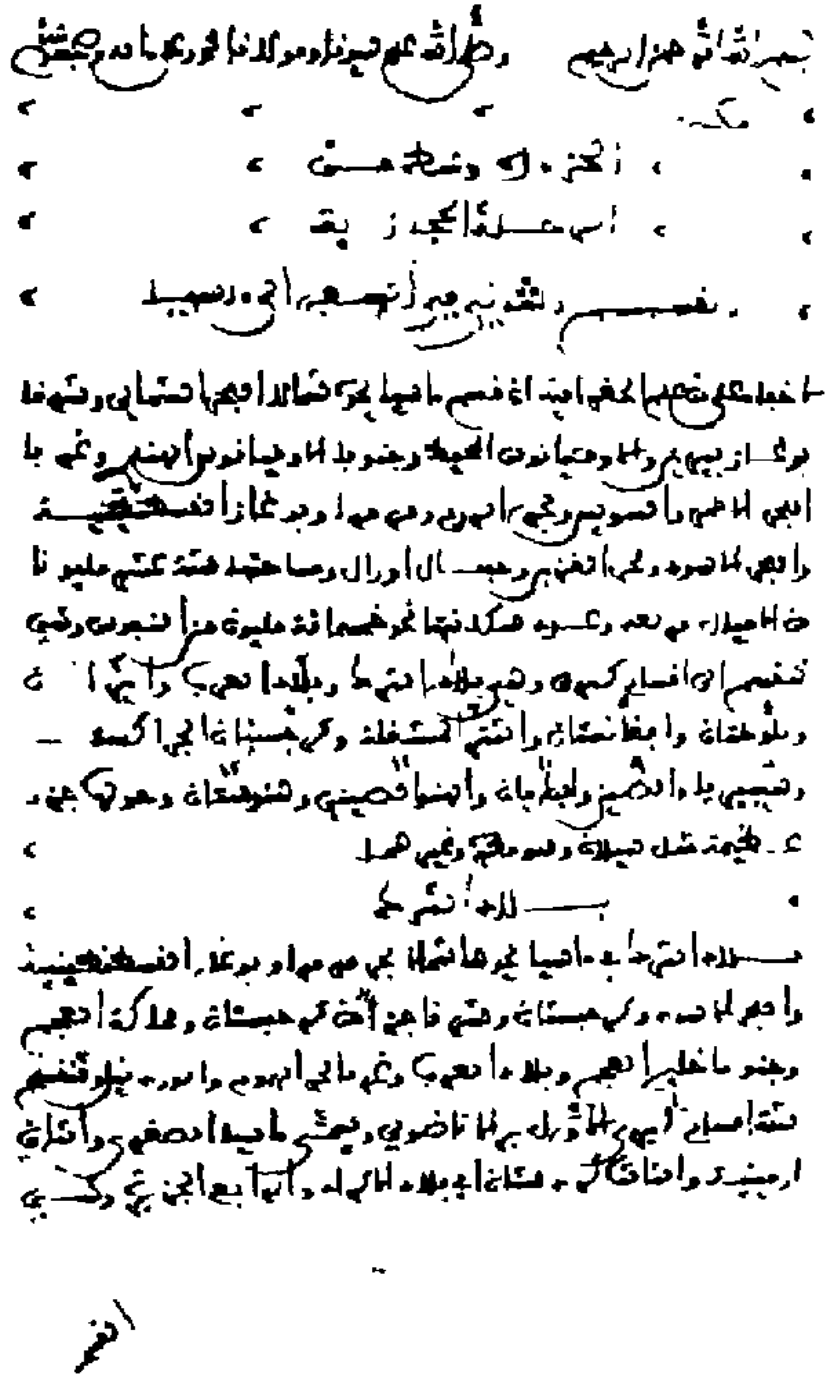

ـ صورة من المخطوطة : الصفحة الاولى من الجزء الثاني

محمد السنوسي: المصدر السابق، ص 35.

الملحق رقم 05:

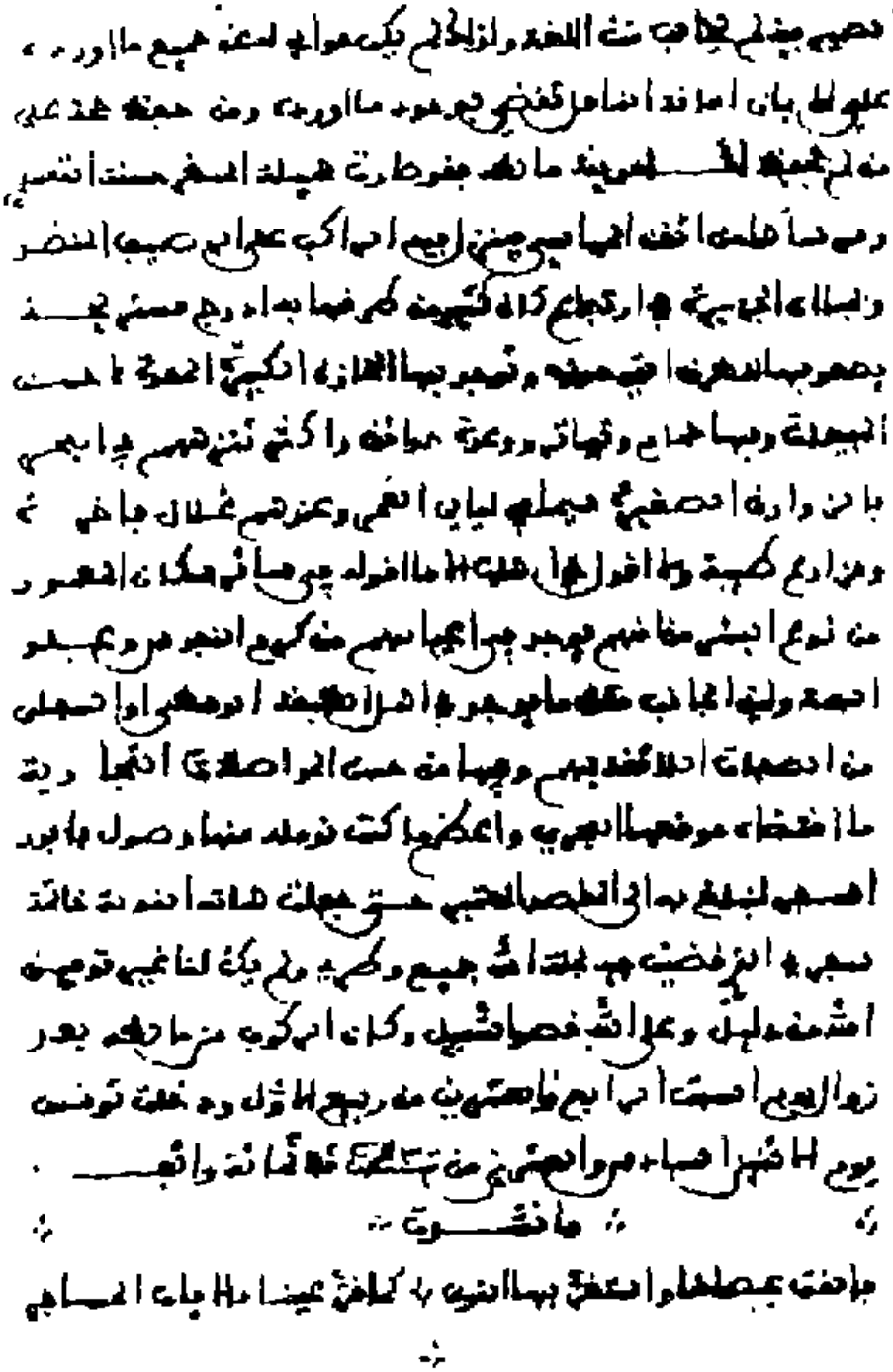

ـ صورة من المخطوطة : الصفحة الاخيرة من الجزء الثاني

محمد السنوسي: المصدر السابق، ص 36

الملحق رقم 06:

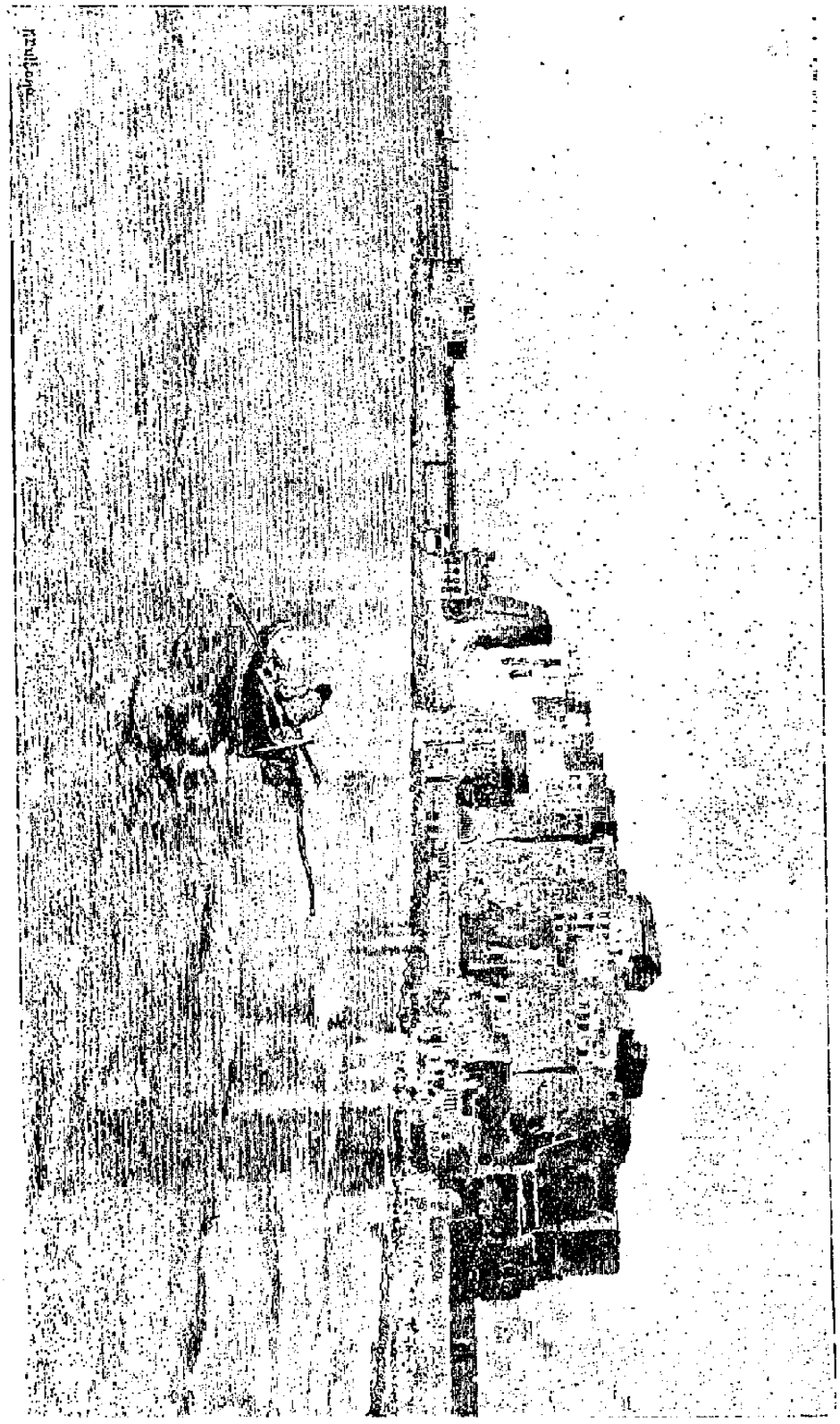

منظر لمدينة نابلي من البحر « قصر دبل اوفو Castell Dellovo »

محمد السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص 80.

الملحق رقم 07:

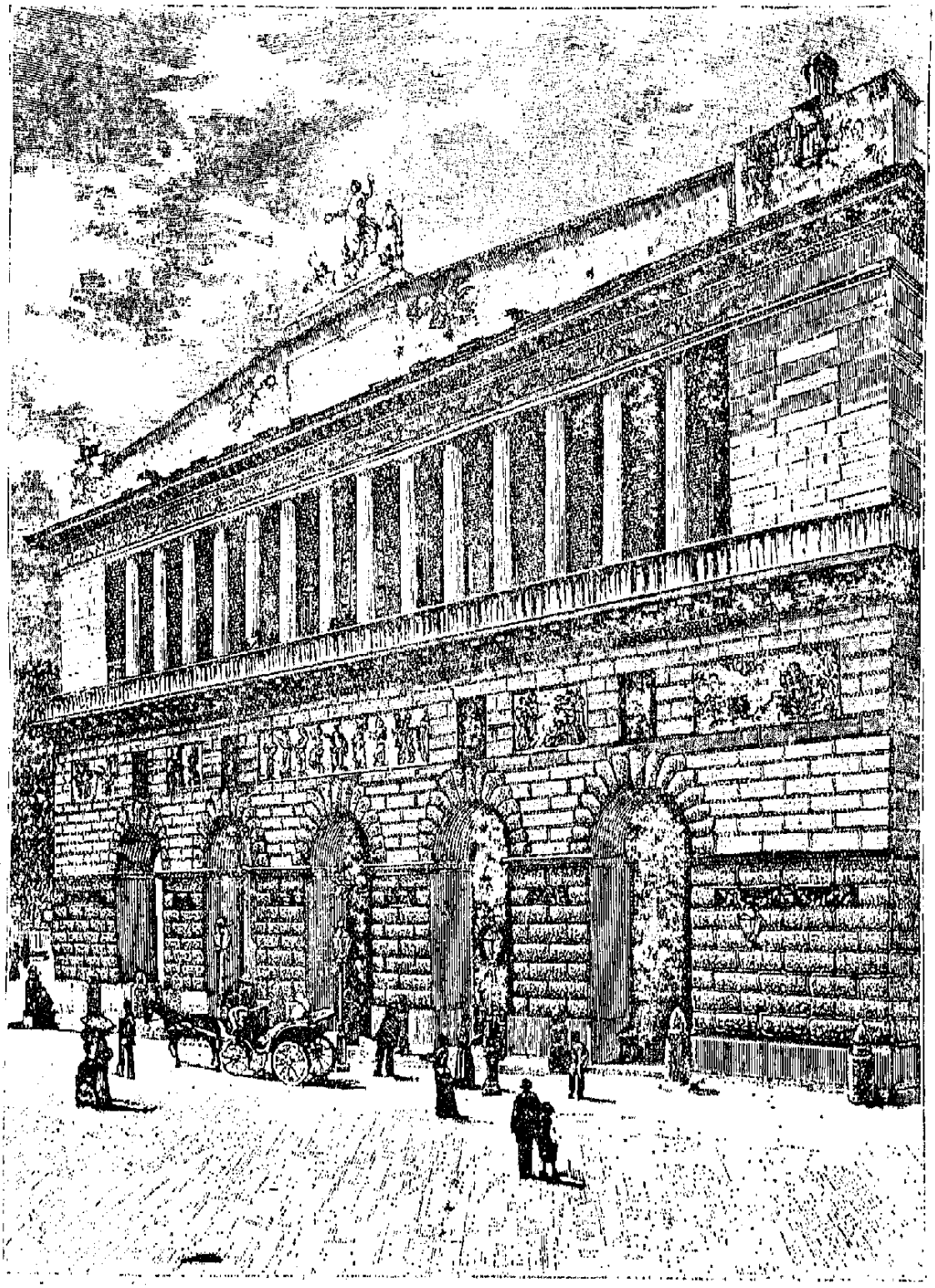

واجهة مسرح القديس كارلو بنابلي سنــة 1882

محمد السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص 24.

الملحق رقم 8:

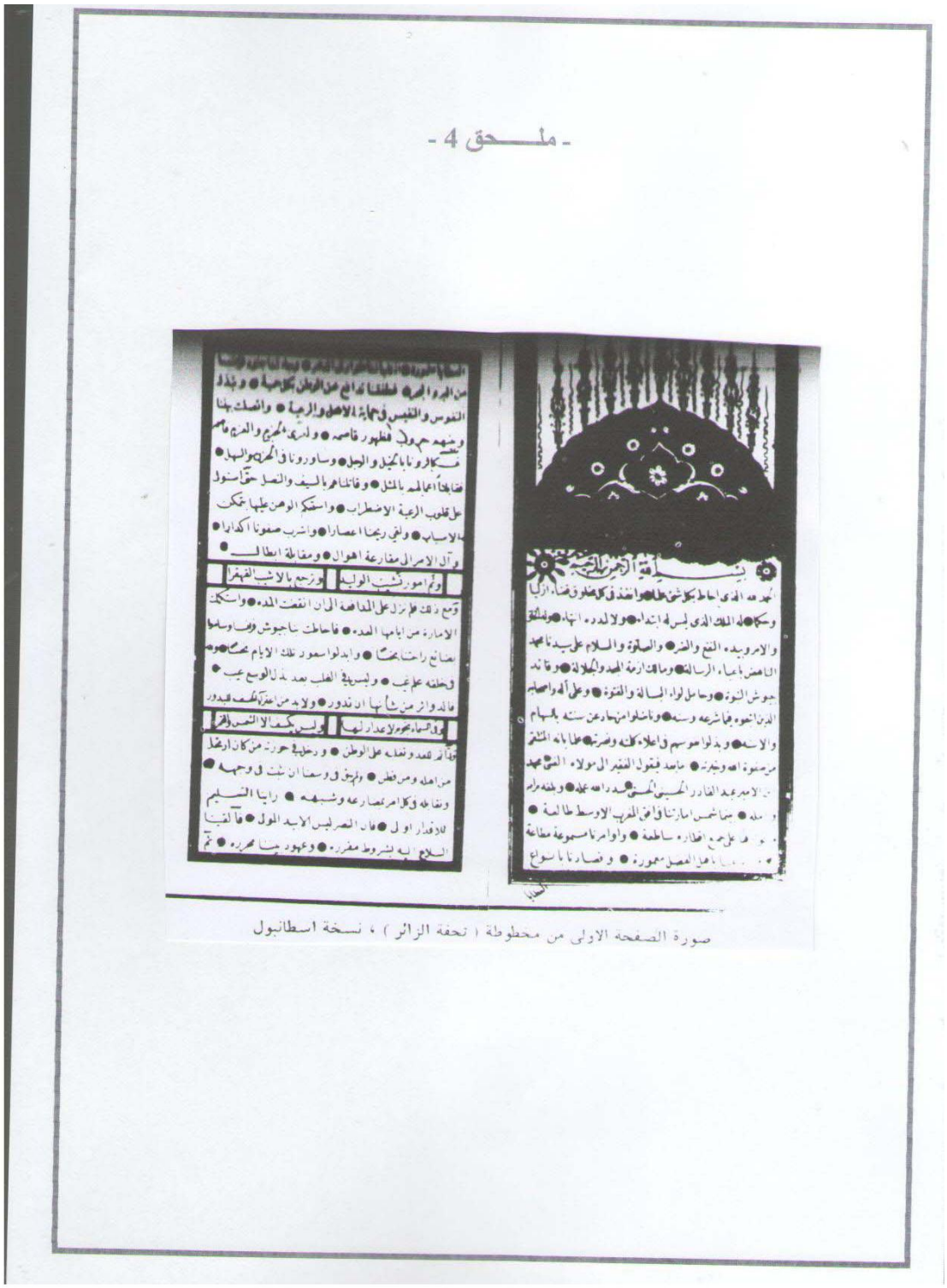

صورة الصفحة الاولى من مخطوطة (تحفة الزائر) ، نسخة اسطانبول

الحاج صادوق: المرجع السابق، ص 174.

البيبليوغرافيا

القـــرآن الكريـــــم

أ/ المصـــــادر:

1- إبراهيم بن محمد الفارس أبو إسحاق الإصطخري: **المسالك والممالك**،ج1، دار الهلال، مصر، القاهر، 1946م.

2- إبن جبير: **رحلة إبن جبير**، (د, ط)، (د. ت)، دار صادر، بيروت.

3- إبن خلدون: **المقدمة**، تح: درويش جويدي ، ج1، ط2، المكتبـــة العصـــرية، بيروت 2000م.

4- إبن سليمان التميمي محمد إبن عبد الوهاب النجدي عبد الكريم بن عبد الله بـــن عبد الرحمن بن أحمد الحنفي: **شرح كتاب الوحيد**، باب العلم، التوحيد، الجزء 03.

5- إبن عبد الله بن عبد العزيز أبي عبد الله الأندلسي: **معجم ما إستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تح: مصطفى السفا ج1، 1305ه/ 1954م، القاهرة.

6- إبن عبد الله شهاب الدين أبو بكر يعقوب البغدادي الحموي الرومـــي: **معجـــم البلدان** المجلد2، دار صادر، بيروت 1397ه/ 1977م.

7- إبن محمد الخضرمي الإشبيلي عبد الرحمان: **رحلة إبن خلدون**، تع: محمد إبن تاويت الطبخي، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيوض، بيـــروت، لبنـــان 1325ه/ 2004م.

8- إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكدم الإفريقي المصري: **لســـان العرب** المجد11،(د. ط)، دار صادر بيروت لبنان،1788ه/ 1968م.

9- أحمد أبو العباس المقري: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح: محمد إبن عمر (د. ط)، مكتبة الرشاد، الجزائر 2004م.

10- بن علي المقري أحمد الفيومي: **المصـــباح المنيـــر**، ج1، (د ط)، دار الكتـــب العلمية بيروت، 1398ه.

11- التونسي خير الدين: **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تـــق: منصـــف الشنوفي ط2، تونس 1972م.

12- ديدييه شارل: **رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي** تر: محمد خير البقاع، (د. ط)، دار فيصل الثقافية، 1322ه/ 2001م.

13- الزركلي خير الدين: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ج6، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيار- مايو 2002م.

14- السنوسي محمد بن عثمان: **الرحلة الحجازية**، تح: علي الشنوفي، ج1، الشركة الوطنية للتوزيع تونس، 1398ه/ 1978م.

15- الشيخ الجليل مالك إبن أنس الموطأ: **كتاب الموطأ**، طبعة جديدة، دار الهدى، عين مليلة.

16- عبد الله التجاني أبو محمد: **الرحلة التجانية**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار العربي للكتاب، ليبيا، تونس، سنة 1981م.

17- العبدري: **رحلة العبدري**، تح: إبراهيم الكردي، (د. ط)، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، 2005م.

18- علي إبن الحسين أبو الحسن المسعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج1 (د. ط)، تق: محمد السويدي، موقع النشر الجزائر، 1989م.

19- محمد الإدريس بن العباس أبو عبد الله إبن عثمان بن الشافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القريشي المكي الشافعي: **كتاب الأم**،ج4، (د. ط)، دار المعرفة بيروت، 1410ه/ 1990م.

20- محمد بن عبد الله إبن بطوطة: **رحلة إبن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار والعجائب والأسفار**، تح وتق: الشيخ عبد الله المنعم العريان، ج1، ط1، دار إحياء العلوم بيروت، 1407ه/ 1987م.

21- مذكرات أوغلي عائشة عثمان: **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، تع: صالح سعدي صالح، ط1، دار البشير للتوزيع، عمان، الأردن، 1311ه/ 1991م

22- النائب الأنصاري أحمد بك: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.ت).

ب/ المراجـــــــــع:

1- إباضة محمد ، محمد رياض: **إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)**، ط1، دار صادر بيروت 1999م.

2- أبو حمدان سمير: **خير الدين التونسي** (د. ط)، دار الكتاب العالمي، بيروت لبنان، 1412ه/ 1992م.

3- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف داود الشهير إبن الحائك: **صفة جزيرة العرب**، (د. ط)، مطبعة بريل لندن، 1884م.

4- أحمد إبن محمد الغزالي أبو حامد: **إحياء علوم الدين**، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

5- الأرقش دلندة وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، (د. ط) مركز النشر الجامعي، تونس 2003م.

6- الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي إبن قليج إبن عبد الله الحنفي: **سنن إبن ماجة**، ح/ 2237، مكتبة نزار مصطفى البار، مكة المكرمة، 1999م.

7- أنساعد سميرة: **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، دراسة في النشأة والتطور، (د. ط)، دار الهدى للنشر، الجزائر 2009م.

8- الأنصاري محمد جابر: **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.

9- اوتينج يوليوس: **الرحلة داخل الجزيرة العربية**، تر: سعيد بن فايز السعيد (د, ط)، دار الملك عبد العزيز، 1419ه/ 1999م.

10- البتوني لبيب: **الرحلة الحجازية**، ط2، المطبعة الجمالية بمصر، 1329ه.

11- بسيس أحمد الصادق: **الشيخ محمد السنوسي حياته وآثاره**، (د. ط)، الدراسة التونسية، للنشر والتوزيع تونس، 1978م.

12- بوصفصاف عبد الكريم: **الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2005م.

13- بيومي محمد علي فهيم: **المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر هجري والثامن عشر ميلادي**، ط1، دار القاهرة، 1427ه/ 2006م.

14- التازي عبد الهادي: **في رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة** مراجعة: عباس صالح طاشكندي، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي 1426ه/ 2005م.

15- خيضر عبد النور وآخرون: **منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830 إلى 1954م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المطبعة الرسمية للبساتين الجزائر، (د. ن).

16- الدرعي أحمد ناصر: **الرحلة الناصرية**، طبعة حجزية، خزانة كلية الآداب، الرباط ، رقم 13، درع.

17- روسي إيتوري: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، تر وتق: محمد النابلسي،ط1 ، مكتبة الإسكندرية، الدار العربي للكتاب، 1974م.

18- ريزفان يفيم: **الحج قبل مائة سنة** ، ط2، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت، لبنان، 1993م.

19- الزاوي الطاهر أحمد: **أعلام ليبيا**، ط3، دار المدار الإسلامي 2003م.

20- الزمري الصادق: **أعلام تونسيون** تق: وتع: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1986م، .

21- زيادة نقولا: **أعلام العرب المحدثون من القرن 18- 19م**، (د. ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994م.

22- سعد الله أبو القاسم: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

23- سعد الله أبو القاسم: **تجارب في آداب الرحلة**، (ط. خ)، عالم المعرفة، المحمدية الجزائر، 2011.

24- سعد الله أبوا القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي الجزائر، سنة 1998م.

25- شكيب أرسلان: الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف، تص و تع: محمد رشيد رضا، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1350ه.

26- الشوابكة نوال عبد الرحمان: **أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.

27- الصعيدي عبد الحكيم عبد اللطيف: **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، ط1 مكتبة الدار العربية للكتاب، 1416ه/ 1996م.

28- الصلابي علي محمد: **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي** الحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ط1، دار البيارق، لبنان، 1999.

29- ضيف شوقي: **الرحلات**، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د. ن).

30- علي الشامي صلاح الدين: **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية**، (د. ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

31- العلي صالح: **الحجاز في صدر الإسلام**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1410ه/ 1990م.

32- عنان محمد عبد الله ، **تاريخ الجامع الأزهر**، طبعة ثانية 1958.

33- فهيم حسين محمد: **أدب الرحلات**، (د. ط)، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، سنة 1409ه/ 1989م.

34- قنديل فؤاد: **أدب الرحلة في التراث العربي**، ط 2، مكتبة الدار العربي للكتاب القاهرة، 2002م.

35- المحامي محمد فريد بيك: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي،ط1 دار النفائس، بيروت، 1401ه- 1981م.

36- محمد حسين حسن: **أدب الرحلة عند العرب**، ط2، دار الأندلس بيروت،1983م.

37- محمد حسين زكي: **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، (د. ط)، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م:

38- الموافي ناصر الدين عبد الرزاق: **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري**، ط1، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، 1415ه/ 1995م.

39- موسى الشريف محمد بن حسن بن عقيل: **المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية** مج1، ط1، دار الاندلس الخضراء، 1421ه/ 2000م.

40- نصار حسين: **أدب الرحلة**، ط1، مكتبة لبنان، الشركة العالمية للنشر، أولجمان 1991م.

41- نواب عواطف محمد يوسف: **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الجزائر في القرنين السابع و الثامن هجري**، دراسة تحليلية ومقارنة (د. ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.

42- وهبة مجدي ، كامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**

ج/ مراجع باللغة الفرنسية:

1- Sadok Hadj n.le genre **"RIHLA"** .B.E.A.n 40.nou Dec. 1948.

د/ الموسوعات:

1- شويخات أحمد: **الموسوعة العربية العالمية**، 1425ه/ 2004م.

2- الكيالي عبد الوهاب: **موسوعة السياسة**، ج5، دار الهدى المؤسسة العربية للدراسات والنش، بيروت، (د. ت).

ه/ المذكرات:

1- باد شاه حافظ محمد: **الحجاز في أدب الرحلة العربي**، أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف الدكتور: كفايت الله همداني، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة، محاضرة بقسم اللغة العربية إسلام آباد، باكستان، 2007- 2011م.

2- صادوق الحاج: **الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع عشر ميلادي وآثارها على البيئة الحجازية**، إشراف الدكتور: مختار حساني، جامعة

الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2011/ 2012م.

3- علي سالمان علي بداوي: **الطريقة القادرية والإستعمار الفرنسي في موريتانيا** رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإفريقية، إشراف: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، قسم التاريخ، معهد البحوت والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2003م.

و/ الملتقيات:

1- السمار ي إبراهيم إبن عبد الله: **ثقافة مكة في أدب الرحلات الحجازية**، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة، عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426ه.

ي/ المجلات:

1- بن خوجة أحمد: **من صلات الإخاء والصفاء والعلم الرواية بين رجالات تونس والمغرب**، مجلة المناهل، العدد2 1976م.

2- بن سعيد سعيد: **أدب الحج في المغرب العربي**، نموذج من الرحلة الحجية المعاصرة في المغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد21، 1422هـ.

3- زيادة معن: **المقدمة**، مجلة الفكر العربي، العدد 51، لسنة 19، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان. أحمد رمضان أحمد: **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع،(د، ت).

4- علي محمد محمد حسن: **أدب الرحلات والعراقي في القرن 19 ومطلع القرن 20**، مجلة المورد، العدد4، من خلال كتب الرحالة سنة8، وزارة الإعلام والثقافة، بغداد، 1989م.

5- محمود زريقي جمعة: **تراجم ليبية**، ط1، دار المدار الإسلامي، طرابلس 2005م.

فهرس الأعلام
والأماكن والمصطلحات

أ/ فهرس الأعـــــــلام:

الأسماء	الصفحة
الواثق بالله	13
إبن خلدون	15
محمد بن عبد الله إبن بطوطة	15
أحمد فارس الشدياق	17
إبن جبير	20
الأصمعي	22
الشيخ محمود قابادو	29
الشيخ محمد بيرم الخامس	29
السلطان عبدالحميد الثاني	35
معاوية إبن أبي سفيان	39
جمال الدين الأفغاني	44
محمد عبدوا	44
خير الدين التونسي	45
محمد الصيد	48
العبدري	54
محمد بن علي بن السنوسي	57

ب/ فهـــــرس الأمـــــاكـــــــن:

الأماكـــــــــــــن	الصفحة
القوقاز	13
نجد	22
خيبر	24
بلاد عسير	24
طرابلس الغرب	28
الكاف	28
قابس	30
جدة	37
ينبع	62

ج/ فهرس المصطلحات:

المصطلحات	الصفحة
الطريقة القادرية	29
جمعية العروة الوثقى	30
الأزهر الشريف	48
الطريقة الصوفية	50
الإمامة	53
الزيدية	53
المرتزقة	61

الفهـــرس

فهـــرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
إهداءات	
التشكرات	
قائمة المختصرات.	
مقدمة.....	أ-ه
الفصـل التمهيـدي: لمحـة تاريخيـة عـن الرحلـة	
1- تعريف الرحلة.....	07
أولا: لغة.....	07
ثانيا: إصطلاحا.....	08
2- أنواع الرحلات.....	10
أ- الرحلات الشعرية.....	10
ب- الرحلات النثرية.....	11
3- دوافع الرحلات.....	11
1- الدوافع الغير مباشرة.....	11
2- الدوافع المباشرة.(الذاتية)	13
3- تقاليد السفر وأهمية آداب الرحلة.....	18
1- تقاليد السفر وآداب الرحلة.....	18
4- الحجاز.....	21
أولا:لغة.....	21
ثانيا: إصطلاحا.....	22
1- موقع وحدود الحجاز.....	23
2- أهمية الحجاز	25
الفصـل الأول: رحلة محمد بن عثمان السنوسي إلى الحجاز خلال القرن 19م.	
1- الرحلة الحجازية لمحمد السنوسي.....	27

أ- مولده ونسبه	27
ب- مؤلفاته	29
2- أسباب وظروف تأليفه للرحلة	31
1- أسباب رحلته للحجاز	31
2- ظروف تأليفه للرحلة	31
3- طريق رحلة محمد السنوسي إلى الحجاز	32
1- في إيطاليا	32
2- في الاستانة	33
3- في مدينة أزمير	34
4- في مصر	35
5- رحلته إلى الحجاز	35
6- في بلاد الشام	38
7- في بيروت	39
8- في مالطة	39
4- مميزات رحلة محمد السنوسي	40
1- العودة إلى تونس	43
2- وفاته.	44
الفصل الثاني: رحلة أبي عبد الله محمد المسعوي الصيدي- الى الحجاز خلال القرن 19م	
1- أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي	46
أ- مولده ونسبه	46
ب- تحصيله العلمي	47
رحلة أبي عبد الله محمد المسعودي الصيدي إلى الحجاز 1863م	47
1- رحلته إلى تونس 1848م	48
2- طريقته الصوفية	48

فهـــرس المحتويات

3- نضاله وجهاده في نصرة الحق..... 49
4- وفاته شهيدا..... 49
2- الأثر الديني والعلمي للمغاربة على البيئة الحجازية..... 50
1- الأثر الديني..... 50
2- الأثر العلمي..... 54
4-الأثر الإجتماعي والإقتصادي للمغاربة على البيئة الحجازية..... 56
1- الأثر الإجتماعي..... 56
2- الأثر الإقتصادي..... 60
الخاتمة..... 66
الملاحق..... 70
قائمة المصادر والمراجع..... 79
فهرس الأعلام والأماكم والمصطلحات..... 87
الفهرس المحتويات.